الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة العربي التبسي – تبسة
كلية الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي

مذكرة بعنوان:

القيمة الحجاجية في الصورة البلاغية
نونية ابن زيدون أنموذجاً

مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر في اللغة والأدب العربي، نظام (ل م د)
- تخصص: نقد حديث ومعاصر -

إعداد الطالبتين:
- عبير تومي
- لميس بوعزيز

إشراف:
- نادية حديدان

لجنة المناقشـــــة:

الاســـــم واللقـــــب	الرتبـــــة العلميـــــة	الصفـــــــــة
رزيق بوزغاية	أستاذ محاضر(أ)	رئيســـــــــا
نادية حديدان	أستاذ مساعد (أ)	مشرفـــا ومقررا
المكي سعد الله	أستاذ محاضر (ب)	عضـــــوا مناقشـاً

السنة الجامعية:
2019/2018

بسم الله الرحمن الرحيم

نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ

وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ

الآية 03- سورة يوسف

Alwallpapers.com

شكر وعرفان

نشكر ربي ساجدين لوجهه الكريم وسلطانك العظيم، برجاء غفرانك ورحمتك

الحمد لله ربي جعلتنا بشرا ووهبتنا علما، وجعلتنا لكلام الله نخشى، ولكلمة الإسلام نسعى، نشكرك ربي جعلت من العسل ما فيه شفاء، ومن العمل ما فيه من دواء، وجعلتنا للعلم نسعى.

نتقدم بالشكر الجزيل والعرفان الكبير إلى الأستاذة المشرفة: نادية حديدان التي قادتنا إلى طريق النجاح ونشكرها على ما قدمته لنا من نصائح

وتوجيهات قيمة.

وكذلك نشكر الدكتور "بوزغاية رزيق"، الذي لم يبخل علينا بنصائحه وإرشاداته منذ بداية عملنا إلى نهايته فكان بمثابة السند الرئيس لنا، وأنار لنا درب هذا العلم بنور علمه ومنه تعمقنا بتجربتنا في هذا العلم.

وكذلك لا ننسى المناقش سعد الله المكي وأخيرا فأقدم فائق الشكر والتقدير والاحترام لهذه اللجنة.

فهرس الموضوعات:

مقدمة ..... أ – ب

الفصل الأول: التداولية

تعريف التداولية 08

نشأة التداولية وتطورها 11

قضايا التداولية 14

مفهوم الحجاج 17

أنواع الحجاج 20

آليات الحجاج 22

السلم الحجاجي 22

قوانين السلم الحجاجي 23

الروابط الحجاجية..... 25

القيمة الحجاجية..... 25

المبادئ الحجاجية..... 26

تعريف البلاغة 27

الصورة البلاغية 29

أقسام البلاغة –علم المعاني– 29

تعريف علم المعاني 29

أقسام علم المعاني 29

الفصل والوصل 31
علم البديع 32
تعريف علم البديع 32
أقسامه 32
أنواع المحسنات اللفظية والمعنوية 32
علم البيان 33
تعريف علم البيان 33
أقسام علم البيان 33

الفصل الثاني: الحجاج في الصورة البلاغية

دراسة الصورة البلاغية..... 36
الحجاج في الاستعارة..... 38
الحجاج في التشبيه..... 41
الحجاج في الكناية..... 43
البنية الحجاجية..... 50
البنية الحجاجية في نونية ابن زيدون..... 51
أطراف الحجاج..... 52
بنية الحجاج..... 55
الروابط الحجاجية..... 59

مفهوم التناص..... 63
التناص الديني..... 63
التناص الأدبي..... 65
تعريف السلالم الحجاجية..... 67
آليات السلم الحجاجي..... 68
السلم الحجاجي والظواهر الدرجية..... 72
خاتمة..... 75
المصادر والمراجع..... 78
الملاحـــــــق ..... –

مقدمة

مقدمة:

إن الحمد لله رب العالمين نحمده سبحانه وتعالى ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فهو المهتد ومن يضلل فلا هادي له، الحمد لله الذي أضاء بالقرآن القلوب وأنزله في أغرب لفظ وأجزل أسلوب، فأعجزت بلاغته البلغاء، وأعيت حكمته الحكماء، وأصلي وأسلم على من بعثه الله بكتابه العظيم، وأعطاه الله جوامع الكلم سيدنا محمد وعلى آله وصحبه، ومن دعى بدعوته واقتفى أثره إلى يوم الدين أما بعد:

تعد نظرية الحجاج من أبرز النظريات التي حظيت باهتمام الباحثين في الدرس النقدي الحديث، نظرا لما يحمله من جدة في الموضوع، وتاريخ راسخ في البلاغة العربية، ولهذا فإننا حاولنا دراسة هذه النظرية في الشعر، لما له من حضور قوي في مختلف الدراسات العربية بمختلف ميادينها، ولم يكن ذلك حكرا على تخصص دون آخر، فهو الحدث الأكبر الذي أصرف معظم جهود الدارسين.

وما يهمنا هنا تلك العلوم التي اختصت بالدلالي والتداولي للخطاب الشعري، الذي تخصص في شرح معاينيه من زوايا مختلفة ومتنوعة.

إن الدراسات البلاغية تركز على معالجة بناء النص الشعري وطرق صياغته، واستخراج خصائصه البنائية والدلالية.

وتعود أهمية الحجاج في الدراسات الحديثة إلى العودة القوية للبلاغة، حيث ركزنا على جانبين اثنين البيان والحجاج كوسيلة أساسية من وسائل الإقناع، ولذلك يمكننا اعتبار النص الشعري خطابا حجاجيا، وإذا ما تأملنا البلاغة العربية القديمة وجدنا أنّها عرفت حضورا بارزا للحجاج، وإذ ظهر بتسميات مختلفة، إذ ظهر عند الجاحظ وربطه بالخطاب والإقناع الشفوي، أما الجرجاني فقد جعل البلاغة وثيقة الصلة بنظرية النظم والمعنى، كما استخدم

آليات حجاجية لوصف الاستعارة، في حين أن السكاكي أشار إلى أدوات إدراك الحجاج في البلاغة العربية، وأكد على أن الحسن من الكلام هو المطابق لمقتضى الحال.

أما عند الدارسين الغربيين المحدثين فقد اعتبروا البلاغة القديمة بلاغة محدودة نظرا لاعتمادها على المحسنات البديعية ورونق الكلام، وأوردوها موردا حجاجيا يقوم على وسائل الإقناع الذي بات مطلبا أساسيا في كل عملية فكرية معينة، وأبرز من تناول بلاغة الحجاج "برلمان وزميله تيتيكاه"، إضافة إلى أعمال باحثين آخرين "كديكورو" و"مايير".

ولعل موضوع هذه المذكرة يتنازل في هذا السياق، فهو يستنفذ الجهد في سبيل الوقوف على:

"القيمة الحجاجية في الصورة البلاغية نونية ابن زيدون"

أما أسباب اختيارنا لمدونة البحث نونينة ابن زيدون كأنموذجاً للتطبيق، حيث تعد مذهبا ونمطا ولونا شعريا اختص به ابن زيدون وحده، ونظرا لكون الخطاب الشعري يؤدي وظيفة حجاجية بلاغية وتوفره على خصوصية الإقناع والتأثير، وكان ذلك لسببين:

أولهما: ينحصر في قلة الاهتمام بالدراسات المتعلقة بالشعر الأندلسي، وذلك من خلال المدونة والتعرف على هذا اللون من الشعر.

أما ثانيهما: ميل النفس أكثر إلى الدراسات الشعرية خاصة الشعر القديم، واخترناها لأنها امتازت بتنوع الأغراض البلاغية، كما أن شعره يصل للمتلقي بجماليات الإقناع فيه.

وتتحدد أهداف هذا البحث في:

- التعرف على أهم مفاهيم الحجاج والحقول المعرفية التي تناولها.
- رصد بعض الشروط والخصائص التي يقتضيها الخطاب الحجاجي.

– والهدف العام منها هو إنجاز دراسات علمية تفيد طلبة العلم وأهل الاختصاص.

– أما الهدف الخاص اكتشاف ملكة البحث والخبرة في نظم الشعر الأندلسي لنونية ابن زيدون، وجمال وروعة أسلوبها.

وقد حاولنا من خلال هذا البحث أن نطرح بعض التساؤلات منها:

– كيف تكون القضايا التي ركزت عليها البلاغة، آلية من آليات الحجاج؟

– أين تكمن ملامح النظرية الحجاجية البلاغية في الشعر؟

– كيف استعار ابن زيدون أدوات الحجاج؟

– هل يمكن للأساليب البلاغية أن تدعم طاقة القول الحجاجية وتثبت قدرته الإقناعية؟

أما عن المنهج المتبع في البحث: فقد اعتمدنا على مجموعة من المقاربات التداولية التي مثلت الأدوات البحثية لاستجلاب الحجاج من النص الشعري "نونية ابن زيدون" وتفكيكها وتحليلها ومن ثم قراءتها على ضوء ما تتيحه كل أداة على حد.

ومن الدراسات السابقة التي اعتمدنا علينا في بحثنا هذا:

* دراسة الدكتور عبد الرزاق عبد العليم ريان الشريف "نونية ابن زيدون" دراسة بلاغية، وكذلك نجد الباحث انتصار محمود حسن سالم في بلاغة الصورة البيانية في شعر ابن زيدون.

إلى المدرس المساعد عدنان رحمن حسن جاءت دراسته في مستويات الانزياح في نونية ابن زيدون، أما عن الكتب التي درست نونية ابن زيدون فنجد عناصر الإبداع الفني في شعر ابن زيدون للدكتور فوزي خضر، وأيضا من رسائل الدكتوراه التي تحدثت عن ابن زيدون، أما عن الكتب التي درست نونية ابن زيدون فنجد عناصر الإبداع الفني في شعر

ابن زيدون للدكتور فوزي خضر، وأيضا من رسائل الدكتوراه التي تحدثت عن ابن زيدون نستحضر مذكرة لنيل شهادة الدكتوراه بعنوان التناص في أدب ابن زيدون لسليم ساعد السلمي، وقد جاءت الدراسة في بحثنا هذا، بيّنا خطة تبدوا مناسبة، حيث قسمنا البحث إلى فصلين استهللناها بمقدمة فصلنا فيها العلاقة القائمة بين عناصر الموضوع وأهم الإشكاليات المطروحة، للإجابة عليها من خلال التفصيل التالي:

الفصل الأول عنوناه بالجزء النظري، إذ تطرقنا فيه إلى ثلاثة مباحث:

أولهما: تحدثنا فيه عن مفهوم التداولية، كما تطرقنا إلى نشأتها ثم قضاياها، وثانيهما، قمنا بدراسة مفهوم الحجاج مع الأنواع والآليات الحجاجية، أما في المبحث الثالث والأخير تناولنا فيه تعريف البلاغة والأقسام الثلاثة للبلاغة.

أما الفصل الثاني عبارة عن فصل تطبيقي، قمنا بالتطبيق على قصيدة "أضحى التنائي "لابن زيدون" ويتجلى في مبحثين

الأول: درسنا فيها الصورة البلاغية من ناحية إحصائها في القصيدة، والتي شمل فيها هذا الإحصاء على مفهوم الاستعارة والتشبيه والكناية واستخراجهم من القضية، وكذلك بنية الروابط الحجاجية، حيث قدمنا فيها البينية الحجاجية في نونية ابن زيدون، مما تحمله من موضوع القصيدة وأطراف الحجاج، بالإضافة إلى بنية الحجاج التي تدرس مفهوم النص من ناحية المقدمات والنتائج، وأيضا الروابط الحجاجية ودورها في القصيدة، أما المبحث الثاني: تطرقنا فيه إلى دراسة السلالم الحجاجية وتطبيقها على القضية، وانتهينا بخاتمة بينا فيها أهم النتائج.

واجهنا في دراستنا هذه بعض الصعوبات والعقبات، نذكر منها على سبيل الذكر لا الحصر:

– مشقة وصعوبة في الحصول على المصادر والمراجع العلمية، وخاصة فيما يخص موضوع الحجاج، وقلتها في جامعتنا.

– ضيق الوقت، فهو غير كاف لموضوع ثري وشامل كموضوع الحجاج والبلاغة، حيث لم يتسنى لنا الوقت لتوضيحه أكثر وإنجاز عمل أفضل.

– تشعب النظرية الحجاجية، وكثرة مصطلحاتها، واختلاف الرؤى حولها بين الباحثين.

وقد اعتمدنا في انجاز هذا البحث على مجموعة من المصادر والمراجع أهمها: اللغة والحجاج لأبي بكر العزاوي، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي لطه عبد الرحمن، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، السيد أحمد الهاشمي.

وفي خاتمة هذا المقام يطيب لنا أن نشكر كل من ساهم في إنجاز هذا البحث من قريب أو بعيد، شاكرات في البدء الأستاذة المشرفة: نادية حديدان لتواضعها وسعة صدرها وكرمها العلمي، كما أخص بالشكر الجزيل والرفيع الأستاذ الدكتور رزيق بوزغاية، لتفهمه وسماعه لانشغالاتنا سدد الله خطاه وكذلك لا ننس شكرنا للأستاذ سعد الله المكي.

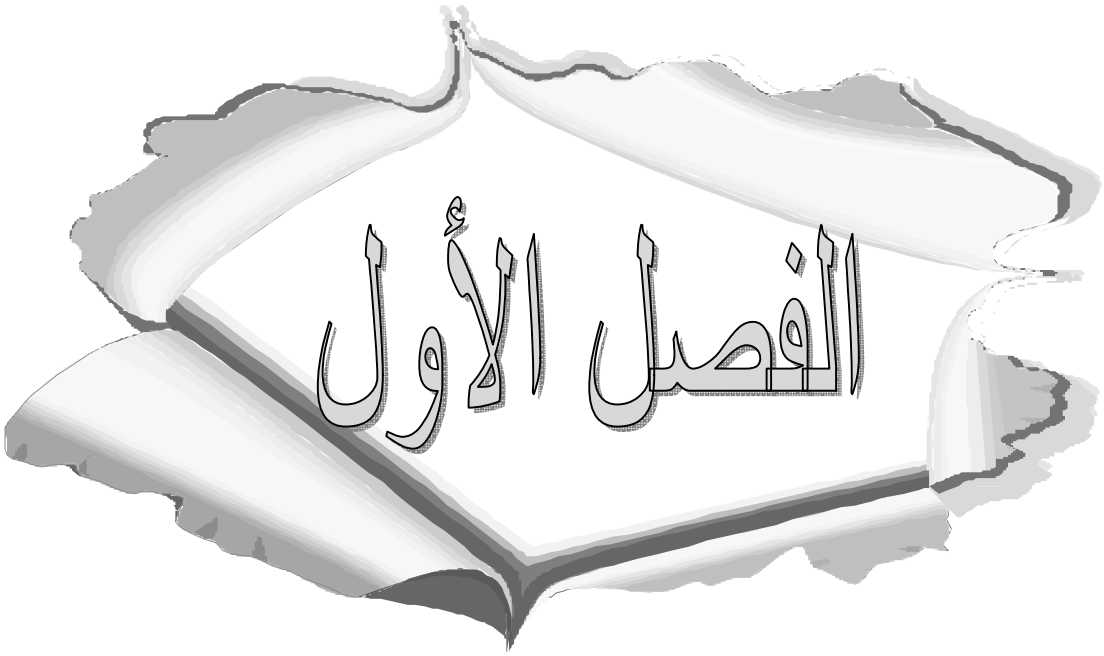
الفصل الأول

المبحث الأول: التداولية

المطلب الأول: تعريف التداولية

لقد عد مفهوم التداولية من أبرز وأصعب المفاهيم الحديثة التي تعسر على العلماء وصعب عليهم الإلمام بتعريف شامل ودقيق لها لسعة مجالها في المنظومة الفكرية الحديثة.

1- المفهوم اللغوي:

1-1 المعاجم العربية:

جاء في لسان العرب لابن منظور: «الدولة والدولة: العقبة في المال والحرب سواء، وقيل الدولة بالضم في المال والدولة بالفتح في الحرب، وقيل هم سواء فيهما يضمان ويفتحان وقيل بالضم في الآخرة وبالفتح في الدنيا... قال الجوهري الدولة بالفتح في الحرب أن تنال إحدى الفئتين على الأخرى يقال كانت لنا عليهم الدّولة والجمع الدول والدولة بالضم بالمال اسم الشيء الذي يتداول في حديث الدعاء: حدثني حديثا سمعته من الرسول صلى الله عليه وسلم ودالت الأيام أي دارت، والله يداولها بين الناس وقولهم: دواليك: أي تداولا بعد تداول والدول: النبل المتداول، عن ابن الأعرابي أشده يلوذ بالجود من النبل والدّول[1]».

ونلاحظ أن التداولية في هذا المفهوم بمعنى تقريب واحد وهو الدوران والتعاقب وتنقل من شخص إلى آخر.

وقد ورد في معجم أساس البلاغة الزمخشري:

« دول: دالت له الدولة ودالت الأيام بكذا، وأدال الله بين فلان من عدوهم، جعل الكثرة لهم عليه، والله يداول الأيام بين الناس مرة لهم ومرة عليهم[2]».

---

[1]- ابن منظور: لسان العرب، دار صادر، بيروت لبنان 1955، مجلد، 03، ص252.

[2]- الزمخشري أساس البلاغة تحقيق، محمد باسل،عيون السودان، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط 1998، الجزء 1، ص303.

ومن خلال ما فهمه من قول الزمخشري عن التداولية أنها جاءت معنى التناقل والتحول.

وقد ذكر الحجاج « إن الأرض ستدال منا كما أدلنا منها ».[1]

وما يقصد به هنا أن نكون في باطن الأرض كما كنا على ظهرها يوما ما.

ومن كل ما سبق نلاحظ أن مدار اللفظ دول هو التناقل والتحول وقد اكتسب هذا المفهوم أي: مفهوم التحول والناقل في الصيغة الصرفية تفاعل التي تدل على تعدد حال الشيء كأن ينتقل المال مثلا من هذا إلى ذاك أو أن تكون الغلبة في الحرب مرة لهؤلاء ومرة لهؤلاء، أو أن يتحول القوم من مكان إلى مكان.

2- اصطلاحا:

1- **يقول شارل موريس**« التداولية جزء من السيميائية التي تعالج العلاقات بين العلامات ومستعملي هذه العلامات[2]»

* من خلال كلام شارل موريس يتضح لنا أن التداولية تهتم بدراسة اللغة أثناء الاستعمال، حيث تراعي كل ما يحيط بها كالمتكلم، والمخاطب، ومكان وزمان التخاطب والحاضرين أثناء الخطاب.

2- ويعرفها آن ماري دبير وفرنسواز ريكانتي: «التداولية هي دراسة استعمال اللغة في الخطاب شاهدة في ذلك على مقدرتها الخطابية.[3]»

* ومن هنا تدرك اللغة من خلال هذه التداولية كمجموع شخصي للعلامات التي يتحدد استعمالها من خلال قواعد موزعة لأنها تهتم بشروط ومكانية الخطاب.

---

[1]- الزمخشري أساس البلاغة المرجع نفسه، ص301.

[2]- نعمان بوقرة، محاضرات في المدارس اللسانية المعاصرة، منشورات باجي مختار، عنابة، 2006، ض، 174.

[3]- المرجع نفسه: ص 174.

3- أما فرانسيس جـاك فقد عرفها بقوله: « تتطـرق التداوليـة إلى اللغـة كظاهـرة خطـابية، وتواصلية واجتماعية معا.[1]»

* فقد ربطها هنا بالتواصل والتفاعل بين المجتمع أي أنه عدها من البحوث المنطقية اللسانية التي تهتم بالخطاب وبذلك جمعت بين الأقطاب الثلاثـة التواصلية، وهي: المتكلـم، والمتلقـي، والخاطب.

وعدها رودولف كرناب:« قاعدة اللسانيات فهي قادرة على حل الكثير من القضايا اللغوية التي عجزت عن حلها المناهج السابقة.»[2]

فالتداولية هنا من خلال كلام "**رودولف كرناب**" هي منبع للسانيات فهي ملتقى لمصادر مختلفة يصعب حصرها، فاعتبرها أنها بمثابة الطريق الذي يصعب تجاوزه فهي تدرس جميع القضايا.

« التداولية هي مجموعة من البحوث المنطقية اللسانية (...)، وهي كذلك الدراسة التي تعني باستعمال اللغة، وتهتم بقضية التلاؤم بين التعابير الرمزية والسياقات المرجعية والمقامية والحديثة والبشرية[3]»

تلتزم التداولية على مجموعة من البحوث تعنى باستعمال اللغة وتدريس القضايا بين السياقات المرجعية والتعابير الرمزية.

من هذه الرؤى المتعددة تغدو التداولية في مفهومها العام دراسة للغة أثناء التواصل أو الاستعمال فهي تجمع بين اللغة والسياق أثناء الدراسة لفهم المعنى، لأن هذا الأخير ليس شيئا متأصلا في الكلمات وحدها لا ترتبط بالمتكلم وحده، ولا السامع وحده، بل لابد من تضافر أقطاب العملية التواصلية والسياق للوصول إلى المعنى الكامن في الكلام.

---

[1]- نعمان بوقرة، محاضرات في المدارس اللسانية المعاصرة، ص 174.

[2]- طه عبد الرحمان: في أصول الحوار وتحديد علم الكلام المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط1، 2000، ص 28.

[3]- فليب بلانشيه، ترجمة صابر الحباشة، التداولية من أوستين إلى غوفمان، ط1، 2007، دار الحوار للنشر والتوزيع ص:18.

المبحث الأول: التداولية

المطلب الثاني: نشأة التداولية وتطورها:

تشكل التداولية درساً جديدا وغزيرا لم يمتلك بعد حدودا واضحة انبثق من التفكير الفلسفي في اللغة، بيد أنه سرعان ما تجاوزه ليعمل على صقل أدوات تحليلية، ونجاح التداولية اللسانية موضوع حديثا.

«إن اللسانيات التداولية اسم جديد لطريقة في التفكير، بدأت علي يد "**سقراط**" تم تبعه "**أرسطو**" و"**الرواقيون**" من بعده بيد أنها لم تظهر إلى الوجود، باعتبارها نظرية للفلسفة إلا على يد "**باركلي**" يُغذيها طائفة من العلوم، على رأسها الفلسفة واللسانيات، والأنثروبولوجيا، وعلم النفس، وعلم الاجتماع.[1]»

جاءت اللسانيات التداولية كعلم جديد، وقد استعملت قديما كأسلوب لتفكير وأول من استعملها الفيلسوف سقراط ومن بعده أرسطو وكذلك الرواقيون، وكان باركلي أول من طورها وقدمها على شكل نظرية للفلسفة التي استعملتها بعض العلوم الأخرى كمرجع ومرتكز لها.

كما « أن التداولية تشكل محاولة جادة للإجابة عن جملة من الأسئلة تتمثل في: (ماذا نصنع حين نتكلم؟ ماذا نقول بالضبط حين نتكلم؟ من يتكلم مع من؟ من يتكلم ولأجل من؟ ماذا علينا أن نعلم حتى يرتفع الإبهام عن جملة أو أخرى؟ كيف يمكننا قول شيء أخر غير الذي كنا نريد قوله؟ نركن إلى المعنى الحرفي لقصدها؟ ما هي استعمالات اللغة؟)».[2]

إن ما نفهمه من خلال هذه الأسئلة أن التداولية تبحث وتحاول الإجابة عن الأسئلة المطروحة في البحث العلمي، التي لم تستطع اللسانيات الإجابة عنها، فكانت التداولية تعمل على حل بعض المشكلات من وجهات نظر عديدة.

---

[1]– نعمان بوقرة، اللسانيات اتجاهاتها وقضاياها الراهنة، عالم الكتب الحديثة بدار الكتاب العالمي، ط1، الأردن، 2009، ص،163.

[2]– فرنسواز أرمينكو، المقاربة التداولية ترجمة، سعيد علوش، مركز الإنماء القومي، الرباط المغرب، 1986،ص،11.

«لم تصبح التداولية مجالا يعتد به في الدرس اللساني إلا في السبعينيات من القرن العشرين، بعد أن قام بتطويرها فلاسفة أوكسفورد، **جون أوستين، جون سيرل، بول جرايس،** حيث درسوا اللغة وحاطوها بكل ما يحيط بها أثناء التلفظ، فصارت التداولية تهتم بوصف العلامة القائمة بين المرسل والمرسل إليه أثناء التواصل، وتعنى بالحديث اللغوي، لفهم قصد المخاطب.[1]»

إن اللسانيات لم تكن منهج يقتدي به إلى بعد حقبة زمنية معينة.

فكان الفضل في تطويرها لفلاسفة أوكسفورد فقاموا بدراسة جميع الجوانب، والتي تشمل كل ما يرتبط بالتواصل اللغوي من الاهتمام بالسامع، واعتبار المخاطب، وبيان دور المتكلم في صياغة الخاطب وإنتاجه والإلمام بكل العناصر الفاعلة في الإبلاغ وبذلك جمعوا بين الأقطاب الثلاثة للتواصل، (المتكلم، المتلقي، الخطاب.)

أما بداية تطور اللسانيات التداولية: « بنظرية أفعال الكلام التي أتى بها **جون أوستين** وتلميذه **سيرل** والمقصود بهذه النظرية الأفعال الكلامية المحققة فعلا من قبل مستعملي اللغة في مواقف لغوية محددة [2]».

أي أن أوستين يقصد في قوله هذا أن التداولية اعتمدت في بداياتها وتبلورها على أفعال التواصل والتي تساعده على التواصل والخطاب بين المجتمعات والتي أطلق عليها بنظرية أفعال الكلام والتي تدرس الحالات اللغة والعلامات في مواقف محددة.

«لا تستعمل لوصف الواقع بل لتغييره، فهي لا تقول شيء عن حالة الكون الراهنة أو السابقة، إنما تغيرها أو تسعي إلى تغييرها[3]». كقوله أمرك بالصمت.

---

[1]– نواري سعودي أبو زيد: في تداولية الخطاب الأدبي المبادئ والإجراءات، بيت الحكمة، ط1، العلمة الجزائر، 2009، ص 23–24.

[2]– جون أوستين، نظرية أفعال الكلام العامة، كيف تنجز الأشياء بالكلمات، ترجمة عبد القادر فنيني، إفريقيا الشرق، 1991، ص 05.

[3]– آن روبول وجاك موشلار: التداولية اليوم علم جديد في التواصل، ترجمة: سيف الدين دغفوس، محمد الشيباني، ط1، دار الطليعة، بيروت لبنان، ص30.

فحسب ما قاله أوستين أن الجمل التي لا يمكن أن نحكم عليها بالصدق أو الكذب لا يمكن أن تستخدم لنقل الواقع، بل هي تقوم بتحويله من حالة إلى أخرى، كما جاء في المثال السابق حين أمر بالسكوت فهي لا تصف واقع الحالة، بل تسعى لتغيير وتحويل حالة الضجيج إلى الصمت والسكون.

« والشكل الذي جاء به أوستين من أفكار وملاحظات تشكل أرضية خصبة أقام عليها تلميذه سيرل دعائم أعماله، حيث أن فكرة الأفعال اللغوية اتضحت وتطورت أكثر على يد التلميذ الذي أعاد تقسيم الأفعال اللغوية وميز بين أقسامها فظهرت بمصطلحات ونظريات أخرى كالقصدية الملائمة والاستلزام الحواري والحجاج.[1]»

وهذه المصطلحات اجتمعت وسهلت الطريق للتلميذ، الذي طور في نظري أفعال الكلام وما عناه أيضا من هذه المصطلحات والنظريات التي ظهرت من خلال تقسيمه للأفعال اللغوية أن الناس في حواراتهم قد يقصدون أكثر مما يقولون قد يقصدون عكس ما يقولون.

وفي هذا الصدد لا يمكن إنكار دراسات وأعمال الفيلسوف جون أوستين وفضله على التداولية، حيث ساهم بشكل كبير على قيامها وظهورها، وقد لُقب بأبي التداولية، لأنه ساعد في نشأتها لكن لا يعني أنه الوحيد الذي قام بعمل جبار، بحيث لا ننس من جاء بعده وأكمل مشواره الذي بدأه وطوروا بعض مفاهيمه، وعدلوا ما يمكن تعديله وأضافوا إليه إضافات حتى أصبحت على ما هي عليه اليوم.

[1]– آن روبول وجاك موشلار: التداولية اليوم على جديد في التواصل، ترجمة: سيف الدين دعفوس، محمد الشيباني، ط1، دار الطليعة، بيروت لبنان، ص 32.

المبحث الأول: التداولية

المطلب الثالث: قضايا التداولية.

1- أفعال الكلام:

«وهي الفكرة الأولى التي نشأت منها اللسانيات التداولية وأهم مراجعها، بل يمكن التأريخ منها للتداولية حيث ارتبطت اللغة بانجازها الفعلي في الواقع، وهي تسمية أُقترحت في سنوات الستينيات من أوستين، استأنفت من طرف (سورل)، قبل أن تكون مقبولة من طرف كل اللسانيين الذين يعتدون بالنظرية الملفوظية[1]».

إذا وننطلق من فكرة أن التداولية نشأت من قبل اللسانيات حيث ارتبطت اللغة بإنجازها الفعلي في الواقع فهي تقوم على استعمال اللغة أو تداول الملفوظات في السياق الواقعي.

2- الملفوظية:

«هي اتجاه جديد في دراسة اللغة، يوسع من مجال اللسانيات السوسيرية التي تعد في نظرها لسانيات غير ملفوظة، وتطورت مع (بنفست) وتابعيه، منطلقة من تطوير جاد للثنائية السوسيرية (لسان-كلام)، ومستندة إلى المفاهيم التداولية الجديدة في شرح علاقة اللغة بالمتكلم، ولذلك عدّت تيارا موازيا في نشأته للتداولية إن لم يكن مندمجا فيه[2]»

ونفهم أن الملفوظية وسعت مجال اللسانيات، حيث تقوم على جهود بنفنست في شرح ثنائية سوسير، حيث أنها نشأت من التداولية ومن علاقة المتكلم باللغة، حتى لم يكن منهجا فيه.

---

[1]- خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم، بيت الحكمة، ط1، 2009 ص 86.

[2]- المرجع نفسه، ص87.

3- الحجاج

«هو حسب المعجم الفلسفي: سلسلة من الأدلة تُفضي إلى نتيجة واحدة، أو هو طريقة عرض الأدلة وتقديمها.

ويمكن أن تعد اللغة بذاتها ذات بعد حجاجي في جميع مستوياتها: ويظهر ذلك في نظام بنيتها، لأن المتكلم يستخدم الوحدات اللسانية حسب ما يريد إبلاغه من أفكار، وبالقدر المقصود، ويبني هذه الوحدات وفقا لأغراض التواصل المختلفة، ولذلك عدّ الدارسون بلاغة الحجاج وغايته، في أن المتكلم ينتظر ممن يوجه إليه الخطاب حركة تنسجم مع المقاصد القولية التي أنجبها المقام، والتي هي بدورها منسجمة مع شكل البنية المقدمة[1]»

يعد الحجاج هنا مجموعة من البراهين التي تهدف للوصول إلى نتيجة ما، حيث يعتمد المتكلم على الألفاظ في التعبير عما يريده، بالإضافة إلى أنه ينتظر من ردة أفعال حركية تلاءم أقواله، والتي بدورها تنسجم وتوافق سياق المقام والحديث.

4- التفاعلية والسياق:

«موضوع التفاعل هو أحد قضايا الفلسفة اللغوية الحديثة التي أنشأت التداولية، عرض له فلاسفة اللغة وهم يميزون بين الفعل والعمل، والتفاعل في نظرهم يميز سلوك الإنسان عن غيره، وعرفوه بأنه سلسلة من الأحداث يكون فيها عدة أشخاص هم المعنيون بوصفهم فاعلين غير متزامنين، وبذلك تكون وظيفة اللغة تحقيق هذا التفاعل بإنجاز أفعال اجتماعية، ويشمل بحث التفاعل قضايا عدة منها: دراسة القدرة التواصلية، وشروط فعل التواصل ودراسة السياق والمقام، وغير ذلك.[2]»

[1]- خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية، ص87.

[2]- المرجع نفسه، ص 88.

يُعد التفاعل من أهم قضايا الفلسفة اللغوية الحديثة التي نهضت مع أحضان التداولية، حيث تم التمييز فيها بين الفعل والعمل، إذ اعتبر الفلاسفة أن التفاعل يميّز بين الأشخاص من خلال أفعالهم وتصرفاتهم من خلال اللغة، حيث كانت وظيفتها تحقيق التفاعل.

5- الوظائف التداولية:

«عرفت الوظائف التداولية ضمن المدونة الاصطلاحية للدرس التداولي عموما، وهي امتداد لبحوث وظائف اللغة السابقة ويتلخص مفهومها في هذا المقام، في تحديد مكونات الجملة بالنظر إلى البنية الإخبارية والمعلوماتية مع ربطها بالطبقات المقامية المحتمل أن تنجز فيها، فهي –إذا– وظائف مرتبطة بالسياق والمقام، ومدى إنجازيه اللغة في مواقع التواصل[1]»

ونفهم من خلال ما سبق أن الوظائف التداولية تهتم بدراسة اللغة أثناء استعمالها ضمن سياق محدد كما أنها تهتم بطرفي العملية التواصليـة لما لها من دور في تحقيق التواصل بهدف التأثير .

ويمكننا أن نلخص قضايا التداولية التي تطرقنا إليها سابقا إذ أنها تدرس استعمال اللغة باعتبارها كلاما محددا، صادرا من متكلم محدد وموجها إلى مخاطب محدد، بغرض إنشاء التواصل باعتمادها على الأدلة والبراهين التي تلازم وتوفق سياق المقام، كما أنها تميز بين الفعل والعمل من خلال أفعالهم.

[1]– خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية، المرجع السابق، ص 88.

المبحث الثاني: الحجاج

المطلب الأول: مفهوم الحجاج

1- مفهوم الحجاج:

تقاربت نظرة الدارسين اللغويين بمفهوم الحجاج في اللغة بخاصة ورأوا أنه يضارع الجدل والبرهان اللذان يستديل بهما المتكلم، وله مفهوم لغوي ومفهوم اصطلاحي.

1-1- لغة:

جاء في لسان العرب لابن منظور (ت-711-م) قال: «حاججته أحاجه حجاجا ومحاجة حتى حاججته، أي غلبته بالحجج التي أدليت بها..... ويقال حاجه محاجة وحجاجا نازعه الحجة....، ويقال أنا حاججته فأنا محاجه وحجيجه أي مقالبه بإظهار الحجة التي تعني الدليل والبرهان[1]»

يمكن القول من خلال ما قدمه ابن منظور أن الحجاج مرادف للجدال، أي مقابلة الحجة بالحجة، التي يستطيع المتكلم أن يفهم بها المتلقي.

وحدّه ابن سيدة بقوله: «حاججته أحاجيه حجاجا محاجة من حججه بالحجج التي أدليت بها، والحجة البرهان وقيل الحجة ما دوفع بها الخصم.[2]»

نجد مصطلح الحجاج عند ابن سيدة لم يخرج عن دائرة الخصام والإنكار وطلب الدليل والإدعاء والحجاج ويقصده تلك الحجج الموجهة لإثبات موقف أو دحضه.

نستنتج من خلال ما سبق أن الحجاج يتجلى في الخطابات التي تهدف للإقناع، وغرضه التأثير في المتلقي أو إرغامه على الامتثال لأمرها والتسليم به، وهو بهذا يؤسس للدفاع عن الأفكار المعروضة من طرف المتكلم، وأنه يتجسد في مجال معين.

---

[1]- ابن منظور: لسان العرب، لبنان، دار الصدار، ط1، المجلد2، ص 25.

[2]- ابن سيدة: تحقيق: عبد الحميد هنداوي، لبنان، دار الكتب العامية، ص 14.

1-2: اصطلاحا:

تباينت نظرة الدارسين المعاصرين (العرب- والغربيين) لمفهوم الحجاج بحسب تنوع الزوايا التي نظروا إليها، البلاغية واللسانية والفلسفية والأصولية، وهو ما أدى إلى ظهور العديد من المفاهيم المتعددة التي أثرت حقل الدراسات اللسانية بعامة والحجاجية بخاصة، ومن أبرز هذه المفاهيم في العصر الحديث.

أ- مفهوم بيرلمان وتيتكاه للحجاج:

يرى هذان الباحثان أن: «موضوع نظرية الحجاج هو درس تقنيات الخطاب التي من شأنها أن تؤدي بالأذهان إلى التسليم بما يعرض عليها من أطروحات، أو أن تزيد في درجة ذلك التسليم[1]»

فالحجاج عندهما خطاب واع يركز في أساسه على منتجي الخطاب وعلى مدى قدرته في بناء نص حجاجي من خلال توظيفه للآليات الحجاجية المختلفة، إذ أنه يحمل الطابع الجدلي، الذي يستند بين الباث والمتلقي وفق تقنيات معينة يحاول بواسطتها كل منهما إقناع الأخر وإقحامه بحجج منطقية عقلانية.

ب- مفهوم الحجاج عند طه عبد الرحمان:

«حدد الحجاج أنه فعالية تداولية جدلية، فهو تداولي، لأن طابعه الفكري مقامي واجتماعي، إذ يأخذ بعين الاعتبار مقتضيات الحال من معارف مشتركة ومطالب إخبارية وتوجهات ظرفية، ويهدف إلى الاشتراك جماعيا في إنشاء معرفة علمية إنشاء موجها بقدر الحاجة، وهو أيضا جدلي لأن هدفه إقناعي قائم بلوغه على التزام صور استدلالية أوسع وأغنى من البنيات البرهانية الضيقة.[2]»

[1]- عبد الله صولة، الحجاج في القرآن الكريم من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، لبنان، دار الفرابي، ط2، 2007، ص 27.

[2]- طه عبد الرحمان: في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، المغرب، المركز الثقافي، ط3، 2007، ص 65.

ويبدو من خلال مفهوم طه عبد الرحمان أن الحجاج يكتسي طابعا تداوليا جدليا، لأنه يأخذ في الحسبان السياقات المقامية والاجتماعية المختلفة، وكذا المعارف والخبرات المشتركة بين المتخاطبين بعامة بهدف الانسجام الحواري التخاطبي بغرض التأثير والإقناع.

نستنتج من خلال التعريفات والمفاهيم المختلفة للحجاج أنه فصل خطابي موجه من مرسل إلى متلقي، قائم على سلسلة من الحجج تتحقق في سياقات مقامية مختلفة داخل اللغة، تهدف إلى النفي أو الإثبات بغرض التأثير والإقناع

المبحث الثاني: الحجاج.

المطلب الثاني: أنواع الحجاج.

اختلفت وجهات نظر الباحثين في تحديد أنواع الحجاج، وتعددت آراؤهم في ذلك، ومن بين هذه الآراء نجد طه عبد الرحمان، من خلال تقسيماته الحجاجية.

أ- الحجاج التوجيهي:

«يقصد به إقامة الدليل على الدعوة، بناء على فعل التوجيه الذي يستدل به المستدل، لحجته إلى غيره، فهو من هذه الجهة يشتغل في أقواله من حيث إلقاؤها، ولا يشتغل بها من حيث تلقيها من طرف المخاطب ورده عليها، فهنا يتولى أقصى عنايته لمقاصده وأفعاله المصاحبة لأقواله الخاصة.[1]»

نلاحظ هنا أن الحجاج التوجيهي هو إيصال المستدل فكرته أو حجته لغيره، وبالتالي يولي لها أهمية وعناية لأغراض ومقاصده وأفعاله المصاحبة لأقواله الخاصة.

ب- الحجاج التقويمي:

«يقوم على مراعاة المتكلم في خطابه الحجاجي لشيئين هما:

الهدف المراد تحقيقه (الإقناع)، والحجج التي يمكن أن يعارضه بها المخاطب، والتي يضعها في الحسبان في أثناء بناء خطابه، ويستحضرها في حججه، فيقوم بتنفيذها بحجج معارضة قبل أن يطرحها عليه المخاطب أو يتوقع منه أن يعارضه بها.[2]»

---

[1]- عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، مقاربة لغوية تداولية، دار الكتب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، ط1، 2004، ص 470.

[2]- المرجع نفسه، ص 473.

أما بالنسبة للحجاج التقويمي يقوم على الإقناع، وتلك الحجج التي باستطاعة المخاطب أن يعارضه بها.

ج- النموذج الاتصالي:

«يجمع النوعين السابقين: فهو يشغل بدور المتكلم والمستمع معها في العقلانية الخطابية، فيركز على علاقة التفاعل الخطابي، مبرزا أهمية التزاوج القصدي والوظيفي والسياقي، ودور الممارسة الحية التي تتبني على الأخذ بالمعاني المجازية والقيم الأخلاقية، مستندا في ذلك إلى نظرية الحوار مع تطويرها، فتكون ثمرة هذا الاهتمام المزدوج بالمتكلم والمستمع، وإحياء الحجاج وجعله بنية تداولية، يجتمع فيها التوجيه المقترن بالأفعال والتقويم المقترن بالأخلاق.[1]»

هذا النوع من الحجاج يركز الاهتمام على عناصر العملية الحجاجية (المتكلم والمستمع والخاطب)، فيجعل من الحجاج أشمل وأوسع يصب في مجال التداولية.

وخلاصة الأمر أن الحجاج هو عرض الرأي مع حججه من أجل القناع والجدل هو مخاصمة، فهو أكثر حدة وشدة، ويكون في الباطل كما يكون في الحق.

[1]- طه عبد الرحمان، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1998، ص 50.

المبحث الثاني: الحجاج.

المطلب الثالث: آليات الحجاج.

1- السلم الحجاجي.

«تنطلق نظرية السلالم الحجاجية من إقرار التلازم في عمل المحاجة بين القول الحجة "ق" والنتيجة "ن"، ومعنى التلازم أن الحجة لا تكون حجة بالنسبة للمتكلم إلا بإضافتها إلى النتيجة مع الإشارة إلى أن النتيجة قد يصرح بها وقد تبقى ضمنية[1]»

فمن خلال هذا القول نفهم أن السلم الحجاجي هو علاقة تراتبية للحجاج، وقد تكون مصرحة ومباشرة وقد تكون ضمنية تفهم من سياق الكلام.

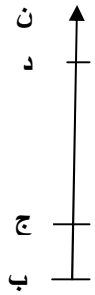

ويتضح ذلك من خلال المثال التالي:

« ن نتيجة "ب"و"ج"و"د" حجج وأدلة تخدم النتيجة "ن"[2]»

نستخلص من هذا الشكل قانونين:

«**الأول:** أن كل حجة من حجج السلم الحجاجي تكون الحجة التي أعلى منها أكثر منها قوة وهنا لدينا الحجة "د" هي دليل أقوى من الحجة "ج" التي قبلها، والحجة "ج" أقوى من الحجة "ب" التي تحتها.

الثاني: أنه باعتبار أن "ب" و"ج" و"د" حجة وردت على السلم الحجاجي، فإذا كانت "ب" توصل إلى نتيجة "ن" فان الحجة "ج" و"د" كذلك توصل إلى نفس النتيجة "ن"، والعكس غير صحيح، كذلك أن الحجة التي تأتي في أعلى درجات السلم الحجاجي تكون الدليل الأقوى، كما يمكن أن نجد أكثر من حجة تبرهن بها للوصول إلى نتيجة واحدة، فإذا وجدنا

[1]- شكري المبخوث، ضمن أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، حمادي حمود الهيئة العامة لمكتبة الإسكندرية، ص 363.

[2]- أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، العمدة في الطبع درب سيدنا- الدار البيضاء، ط1، سنة 2006، ص 20.

قولا استعاريا وقولا عاديا في سلم حجاجي فإن القول الاستعاري يكون أكثر قوة من الكلام العادي، وهذا لأن الاستعارة تحمل نوعا من التأثير والإقناع والجمل، وتكون أكثر بيانا من الجمل أو الأقوال العادية[1]»

يمكن القول بأن السلالم الحجاجية تنطلق بين القول الحجة "ق" والنتيجة "ن"، وبالتالي فهذه الحجج تتضمن حججا تنتمي إلى الفئة الحجاجية نفسها، والى حكم حجاجي واحد.

2) قوانين السلم الحجاجي:

2-1: قانون النفي

«إذا كان قول ما (أ) مستخدما من قبل متكلم ما يخدم نتيجة معينة فإن نفيه أي (أ) حجة لصالح النتيجة المضادة وبعبارة أخرى فإن كان (أ) ينتمي إلى الفئة الحجاجية المحددة بواسطة "لان" ويمكن أن تمثل لهذان المثالين التاليين:

زيد مجتهد، لقد نجح في الامتحان، زيد ليس مجتهد، إذ لم ينجح في الامتحان.[2]»

زيد مجتهد هي حجة استخدمها المتكلم ليثبت نجاح زيد في الامتحان، وهي النتيجة "ن" ثم أن زيد ليس مجتهد حجة وضعها المتكلم (أ) ليدحض بها النتيجة "ن" ليصل إلى نتيجة مضادة "لا-ن" وتكون حجة دليل لها وهي عدم نجاح زيد.

ومن خلال المثال السابق نكون قد وضحنا معنى قانون النفي الذي يبحث عن حجة ليدحض بها النتيجة الأولى ويصل إلى ما يريده المدّحض.

[1]- سامية الدريدي، الحجاج في الشعر العربي القديم عالم الكتب الحديثة، الأردن، ط1، ص 254، 255.

[2]- أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، المرجع السابق ص 22.

2-2 قانون القلب:

«ويرتبط هذا القانون بالنفي أيضا وهو تتميم للقانون الأول (قانون النفي)، ومعناه أن السلم الحجاجي للأقوال المنفية يكون عكس سلم الأقوال المثبة، ومعناه أنه إذا كانت إحدى الحجتين أقوى من الأخرى في التدليل على نتيجة معينة، فإن نقيض الحجة الثانية أقوى من نقيض الحجة الأولى في التدليل على النتيجة المضادة[1]»

ونرمز له بالشكل التالي:

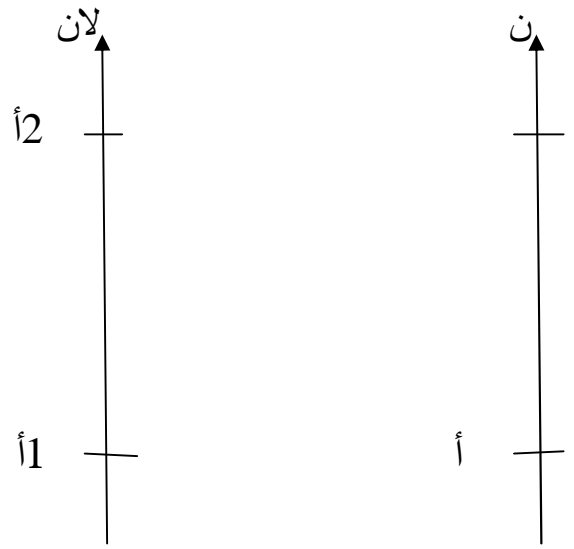

من خلال ما ورد عن قانون القلب نلاحظ أنه تتميم لقانون النفي، وبالتالي يمكن القول أن الحجة الأولى "أ" في السلم الحجاجي ضعيفة من الحجة التي أعلى منها "أ".

2-3 قانون الخفض:

«يوضح فكرة التي تقول أن النفي اللغوي الوصفي يكون مساويا للعبارة "moins que" فعندما نستعمل جملا من قبيل:

الجو ليس باردا. ←

لم يحضر كثير من الأصدقاء إلى الحفل. ←

[1]- أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، المرجع نفسه، ص 22-23.

فنحن نستبعد التأويلات التي ترى أن البرد قارص وشديد، وأن الأصدقاء كلهم حضروا إلى الحفل وسيؤول القولين على الشكل التالي:

← إذا لم يكن الجو باردا فهو دافئ وحار.

← لم يحضر إلا قليل منهم إلى الحفل.[1]»

فنحن هنا نستبعد التأويلات التي ترى أن البرد قارص وشديد أو أن الأصدقاء كلهم حضروا إلى الحفل وسيؤول القولين على الشكل التالي:

←إذا لم يكن الجو باردا فهو دافئ وحار.

← لم يحضر إلا قليل منهم إلى الحفـل.

3- الروابط الحجاجية.

«تشمل اللغة العربية على عدد كبير من الروابط الحجاجية والعوامل الحجاجية التي لا يمكن تعريفها إلا بإحالة على قيمتها الحجاجية، حيث يجب أن نميز بين صنفين من المؤشرات والأدوات الحجاجية التي تحقق الوظيفة الحجاجية[2]»

أي أن الروابط والعوامل الحجاجية تختلف من عامل ورابط إلى آخر، وهذا ما يستدعي الأمر إلى التمييز والتعريف بين صنفين من المؤشرات والأدوات، بغية تحقيق وظيفتها الحجاجية.

4) القيمة الحجاجية:

«كل خطاب يحمل في ذاته قيمة معينة، والنص الحجاجي تقويمي، تتحدد قيمته من الأقوال أو الأفعال أثناء المحاججة، التي تهدف إلى تأثير أو تغيير أو المعتقد فالقيمة تكمن في هذا الهدف[3]»

---

[1]- أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، المرجع السابق، ص 24.

[2]- المرجع نفسه، ص 27.

[3]- محمد العيد، النص والخطاب والاتصال، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي، القاهرة، مصر، ط1، 2005، ص191.

ما نلاحظه من خلال هذا القول أن القيمة الحجاجية فهي عبارة عن غاية يحملها خاطب ما، أو رسالة مفيدة التي تعمل على إقناع وتغيير شيء ما من خلال المحاججة.

5) المبادئ الحجاجية:

«وهي قواعد عامة تجعل حجاجا ممكنا وهي الضمان الذي يضمن الرابط بين الحجة والنتيجة، ولها خصائص عديدة نذكر منها، أنها مجموعة من المعتقدات والأفكار المشتركة بين الأفراد داخل مجموعة بشرية معينة، وكذلك تمتاز بالعمومية تصلح لعدد كبير من السياقات المختلفة وأيضا التدرجية النسبية[1]».

فالمبادئ الحجاجية في هذا التعريف هي عبارة عن علاقات بين الأفراد ومسلمات مشتركة بين مجموعة لغوية معينة من الأفراد، والكل يسلم بصحتها وصدقها، فالكل يعتقد أن العمل يؤدي إلى النجاح، وأن التعب يستدعي الراحة، وهي عبارة عن قوانين وأفكار ومعتقدات.

[1]– أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، ص 28.

المبحث الثالث: الصورة البلاغية:

المطلب الأول: البلاغة.

تعريف البلاغة:

لغة: لقد وردت لفظة البلاغة في المعاجم العربية القديمة والحديثة من حيث المعنى اللغوي في مادة بلغ (ب، ل، غ)، فقد جاء في لسان العرب: «(ب، ل، غ) بلغ الشيء يبلغ بلوغا وبلاغا، وصل وانتهى وتبلغ الشيء: وصل إلى مراده والبلاغ: ما يتبلغ به ويتوصل إلى الشيء المطلوب، والبلاغ: الإبلاغ وفي التنزيل: (الإبلاغ من الله ورسالاته)

والإبلاغ: الإيصال وكذلك التبليغ.

والبلاغة: الفصاحة والبلغ: البليغ من الرجال والبلغن: البلاغة[1]»

نلاحظ من خلال هذا المعنى الذي قدمه ابن منظور أن البلاغة تعني الوصول والبلوغ إلى الشيء والانتهاء إليه.

أما في معجم مقاييس اللغة «(بلغ) الباء واللام والغين أصل واحد وهو الوصول إلى الشيء، والبلغة: ما يتبلغ به عن الشيء كأنه يراد أنه يبلغ رتبة المكثر إذا رضى وقنع، وكذلك البلاغة التي يمدح بها الفصيح لأنها يبلغ بها ما يريده، وقوله تبلغت القلة بفلان إذا اشتدت[2]»

من خلال هذا المعنى أن البلاغة عند ابن فارس هي ما يمدح به الإنسان الذي يتميز بالفصاحة في الكلام والقوة بالتأثير والإقناع، وهذا ما يدفعه إلى الوصول إلى مراده وتحقيق ما يريده.

---

[1]- ابن منظور: لسان العرب، مجلد 02، مادة (ب،ل،غ)، دار صادر، بيروت لبنان، 1990م، ص 143.

[2]- ابن فارس، مقاييس اللغة، مجلد 1، تحقيق عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت، 1420هـ، 1999م، ص 301-302.

اصطلاحا:

لقد تناول الكثير من البلاغيين مفهوم البلاغة من جانبها الاصطلاحي، واختلف هذا المفهوم من بلاغ إلى آخر.

فقد جاء في البيان والتبيين: «قيل للفارسي ما البلاغة؟ قال: معرفة الفصل من الوصل، وقيل لليوناني: ما البلاغة؟ قال: تصحيح الأقسام واختيار الكلام، وقيل للرومي: ما البلاغة؟ قال: حسن الاقتضاب عند البداهة والغزارة يوم الإطالة، وقيل للهندي: ما البلاغة؟ قال وصف الدلالة وانتهاز الفرصة وحسن الإشارة، وقال بعض أهل الهند: جماع البلاغة البصر بالحاجة والمعرفة بموضع الفرصة[1]»

ونفهم من خلال تعريف الجاحظ أن البلاغة تهتم بحسن الإشارة واختيار الكلام الفصيح، وتوضيح الدلالات وانتهاز الفرص في تقوية المعنى بانتقاء وأجود الألفاظ.

كذلك جاء في الإيضاح: «وأما بلاغة الكلام: فهي مطابقته لمقتضى الحال مع فصاحته، ومقتضى الحال مختلف، فإن مقامات الكلام متفاوتة، ومقام التنكير يباين مقام التعريف، ومقام الإطلاق يباين مقام التقييد، ومقام التقديم يباين مقام التأخير، ومقام الذكر يباين مقام الحذف، ومقام القصد مقام خلافه، ومقام الفصل يباين مقام الوصل، ومقام الإيجاز يباين مقام الإطناب والمساواة، وكذا خطاب الذكي يباين خطاب الغبي[2]»

نلاحظ من خلال هذا التعريف أن البلاغة هي مطابقة لمقتضى الحال، أي أن لكل مقام مقال، وأنها تعمل بمقولة أن الأشياء تعرف بأضدادها والدقة والبداهة في الكلام.

نستنتج مما سبق أن البلاغة هي الاختيار الدقيق للعبارات والكلمات الفصيحة تعمل على أن المقامات غير مساوية، وتقوم بانتهاز الفرص في حسن التعبير، كما أن البلاغة هي الوصول إلى الشيء المراد تحقيقه.

---

[1]– الجاحظ، البيان والتبيين، تحقيق درويش جويدي، المكتبة العصرية صيدا، بيروت، 1422هـ – 2001م، ص 63.

[2]– الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، الجزء1، تحقيق عبد المنعم خفاجي، دار الجيل، بيروت، ط3، ص 41-45.

المبحث الثالث: الصورة البلاغية.

المطلب الثاني: أقسام البلاغة –علم المعاني–

1– تعريف علم المعاني:

«هو العلم الذي يعرف به أحوال اللفظ العربي التي بها يطابق مقتضى الحال»[1]

ويقصد به معرفة المعاني، والذي من خلاله تتم دراسة الألفاظ واتخاذ كل لفظ لمكانه الخاص.

"هو العلم الذي يبحث في مطابقة الكلام لمقتضى الحال"

وهو بالتالي الطريق الذي يجب أن يسلكها الأديب للوصول إلى صحة الغاية.

ومما سبق نستخلص من خلال التعاريف السابقة أن علم المعاني قد يقصد به السبيل في المسيرة الأدبية لبلوغ الهدف، ويتوجب على الأديب أن يخاطب كل مقام بما يفهم وإلا ضاعت الغاية وذهبت الفائدة.

2– أقسامه:

يتألف علم المعاني من الأقسام التالية:

2–1.الإنشاء والخبر «إن الجملة الإنشائية هي الجملة التي لا يصح فيها التكذيب[2]»

أي التكذيب، أن الجملة الإنشائية تكون صادقة مئة بالمئة، ولا تحتمل ولو مجرد الكذب.

«أما الجملة الخبرية هي الجملة التي يصح فيها التصديق والتكذيب[3]»

---

[1]– فيصل حسين طحيمر العلي، البلاغة الميسرة في المعاني والبيان والبديع، دار الثقافة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 1990، ص 28.

[2]– محمد أمين الضناوي، معين الطالب في علوم البلاغة في علم المعاني– علم البديع– علم البيان، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1421هـ، 2000م، ص 39.

[3]– المرجع نفسه، ص 39.

2-2. الإسناد: «وهو ضم كلمة أو ما يجري مجراها إلى أخرى، ليفيد بأن مفهوم إحداهما، والمحكوم به ثابت أو منفي من مفهوم الأخرى، وهو المحكوم عليه، ويسمى المحكوم به مسندا، والمحكوم عليه مسندا إليه، ونسمي النسبة بينها إسنادا[1]»

ونفهم من خلال هذا القول أن الإسناد هو ضم كلمة إلى أخرى على وجه الإفادة التامة، بحيث يكتمل معنى الجملة.

2-3. الإيجاز والإطناب والمساواة: إن كل المعاني التي يعبر عنها لفظا يعبر عنها بإحدى هذه الطرق الثلاث: الإيجاز أو الإطناب أو المساواة.

2-3-1. الإيجاز: «وهو وضع المعاني الكثيرة في الألفاظ أقل منها، وافية بالغرض المقصود، مع الإبانة والإيضاح[2]»

نقصد من خلال هذا الكلام التقليل في الكلام مع الإيضاح والإفصاح عما يجول في ذهن المتكلم حتى يصل المعنى المراد إلى المخاطب.

2-3-2. الإطناب: «وهو زيادة اللفظي للمعنى بقصد الفائدة[3]»

أن الإطناب يعني المبالغة في الكلام لإفادة المعني لغرض معين، وفي ذلك يثبت المعنى في النفس بزيادة الألفاظ على معانيها وتوضيحها لما يعنيه المتكلم.

2-3-3. المساواة: «عبارة عن تأدية المقصود بمقدار معناه من غير زيادة فيه ولا نقصان عنه[4]»

---

[1]- مزيد إسماعيل نعيم، علم المعاني، جامعة دمشق، 1981م، ص 02.

[2]- الهاشمي، أحمد السيد جواهر البلاغة في المعاني والبديع، دار الكتب العلمية، ط1، ص 222.

[3]- ابن أثير، ضياء الدين، المثل السائر، دار نهضة، مصر، القاهرة، ط د، ص 302.

[4]- العلوي، يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم، الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز المكتبة، العنصرية، بيروت، ط1، 1423هـ، ص 322.

أي أن يتساوى اللفظ مع المعنى دون أن يزيد أحدهما على الآخر وفيه لو رفعت كلمة من الجملة لأختل المعنى.

2.4. الفصل والوصل:

2-4-1. الوصل: «هو أن يقصد الاشتراك بين جملتين في الحكم مع وجود جهة جامعة بينهما، ومن هذه الحالة يؤتى بالواو ليدل على العطف على الاشتراك في الحكم الإعرابي[1].

ويعني الربط والجمع بين الجملتين بالواو خاصة لصلة بينهما في الصورة والمعنى أو لدفع اللبس.

2-4-2. الفصل: «أن لا يقصد اشتراك الجملة الثانية مع الجملة الأولى في الحكم الإعرابي، لذلك يتم الفصل بينهما[2]».

ويعني هنا ترك الربط بين الجملتين، إما لأنهما متحدتان صورة ومعنى أو بمنزلة المتحدتين، وإما لأنه واصلة بينهما في الصورة أو المعنى.

من خلال ما سبق نستخلص أن علم المعاني يختص بعنصر المعاني والأفكار، فهو يرشدنا إلى اختيار التراكيب اللغوية المناسبة للموقف، كما يرشدنا إلى جعل الصورة اللفظية أقرب ما تكون دلالة على الفكرة التي تحظر في أذهاننا، وهو لا يقتصر على البحث في كل جملة مفردة على حدة، ولكنه يمد نطاق بحثه إلى علاقة كل جملة بالأخرى، وإلى النص كله بوصفه تعبيرا متصلا عن موقف واحد.

[1]- مزيد إسماعيل، علم المعاني، المرجع نفسه، ص46.

[2]- المرجع نفسه، ص 47.

2- علم البديع:

1: تعريفه: «هو علم يعرف به وجوه تحسين الكلام، بعـد رعايـة تطبيقية على مقتضى الحال[1].

ونفهم من خلال هذا التعريف أن علم البديع يهتم بصياغة الكلام، بما يركز على تحسين أنواع الكلام بشقيه.

2: أقسامه:

2-1. البديع اللفظي (المحسنات اللفظية): « هي الكلمات التي يكون فيها التحسن راجعا إلى اللفظ، والتي يحسن فيها المعنى نتيجة حدوث تحسين في اللفظ.[2]»

ومن هنا نقول أن المحسنات اللفظية راجعة إلى حسن اختيار الكلمات وتوظيفها في مكانها المناسب لوصول الهدف والغاية المرجوة.

2-2. البديع المعنوي: (المحسنات المعنوية): «وهي التي يكون التحسين فيها راجـــع للمعنى.[3]»

وما نقصد من هذا التعريف أن المحسنات المعنوية لا تهتم باللفظ قدر ما تهتم بالمعنى ويكون المعنى في قمة حسنه.

أنواع المحسنات اللفظية والمعنوية.

« أ: اللفظية: الجناس، السجع، التصريع، الاقتباس والتضمين.

ب: المعنوية: الطباق المقابلة التورية، حسن التعليل وتأكيد المدح بما يشبه الذم، وتأكيد الذم بما شبه المدح، وأسلوب الحكيم، ومراعاة للنظير، والأرصاد، والعكس والتبديل، والمذهب الكلامي[4]»

---

[1]- منير سلطان، البديع تأصيل وتجديد مطبعة منشأة المعارف، الإسكندرية، 1986، ص 20.

[2]- المرجع نفسه، ص 21.

[3]- المرجع نفسه، ص 21.

[4]- المرجع نفسه، ص 22.

3- علم البيان :

1: تعريفه: «علم يعرف إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة مع وضوح دلالة عليه[1]»

أي أنه علم يعرف به أحوال دلالة الكلام الظاهر على المعنى المخفي، وهو يمكننا بالتعبير عن المعنى الواحد بطرق مختلفة.

2: أقسامه:

يتألف علم البيان من الأقسام التالية:

2-1: التشبيه: «وهو الدلالة على المشاركة بين أمرين في وجه أو أكثر من الوجوه، أو في معنى أو أكثر من المعاني أو هو بعبارة أخرى بيان أن شيئا أو أشياء شاركت غيرها في صفة، وأكثر بأداة هي الكاف أو نحوها، ملفوظة أو مقدرة، تقرب بين المشبه والمشبه به في وجه الشبه[2]»

لقد رأينا من خلال هذا التعريف أن التشبيه هو التمثيل، ويكون بعمل تمثيل بين شيئين، ويكون بينهما عامل مشترك، أما الأول يكون لفظي ظاهر، أما الثاني قد يكون معنوي يفهم من خلال الكلام.

2-2. الاستعارة: «هي أن تريد تشبيه الشيء بالشيء فتدع الإفصاح بالتشبيه وإظهاره، وتجيء على اسم الشبه به وتجريه عليه[3]»

ونفهم هنا أن الاستعارة هي نوع من التشبيه ولكن حذف أحد أطرافه، فيكون التشبيه ناقصا للمشبه أو المشبه به.

2-3. الكناية: «وهي ترك التصريح بذكر الشيء إلى ذكر لازمة المساوي لينتقل الذهن منه إلى الملزوم المطوي ذكره»[4].

---

[1]- عبد المتعال الصعيدي، البلاغة العالية، في علم البيان، مكتبة الآداب، ط1، 1420هـ- 2000م، ص 16.

[2]- غازي تموت، علم أساليب البيان، دار الأصالة، بيروت، ط1، 1983م، ص 94.

[3]- أنعام نوال عكاوي، المعجم المفصل في علوم البلاغة، البديع والبيان والمعنى، ط3، 1427هـ ، 2007م، ص 52.

[4]- راجي الأسمر، علوم البلاغة، الموسوعة الثقافية العامة، دار جبل، بيروت، ط1، 1420هـ، 1999م، ص 105.

ونفهم هنا أنها عدم التصريح، وهنا نقول أمرا ولكن دون تصريح به، فتأتي بما يفيد المعنى وليس المعنى نفسه.

2-4. المجاز: «هو تطوير لدلالة وتحميله من المعاني المستحدثة، ما لا يستوعبه نفس اللفظ في أصل وضعه[1]».

أي أننا نفهم أن المجاز هو كل كلمة نريد بها شيء ما، حيث تكون في قمة الفصاحة والبلاغة.

ومن خلال ما سبق وما تطرقنا إليه، نجد أنّ علم البيان هو أحد أركان البلاغة، وهو أصول وقواعد يريد بها معرفة المعنى الواحد بطرق متعددة وتراكيب متفاوتة، كما أنه الدلالة الظاهرة على المعنى الخفي.

[1]- ابن رشيق القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، القاهرة، ط1، 1955م، ص 265.

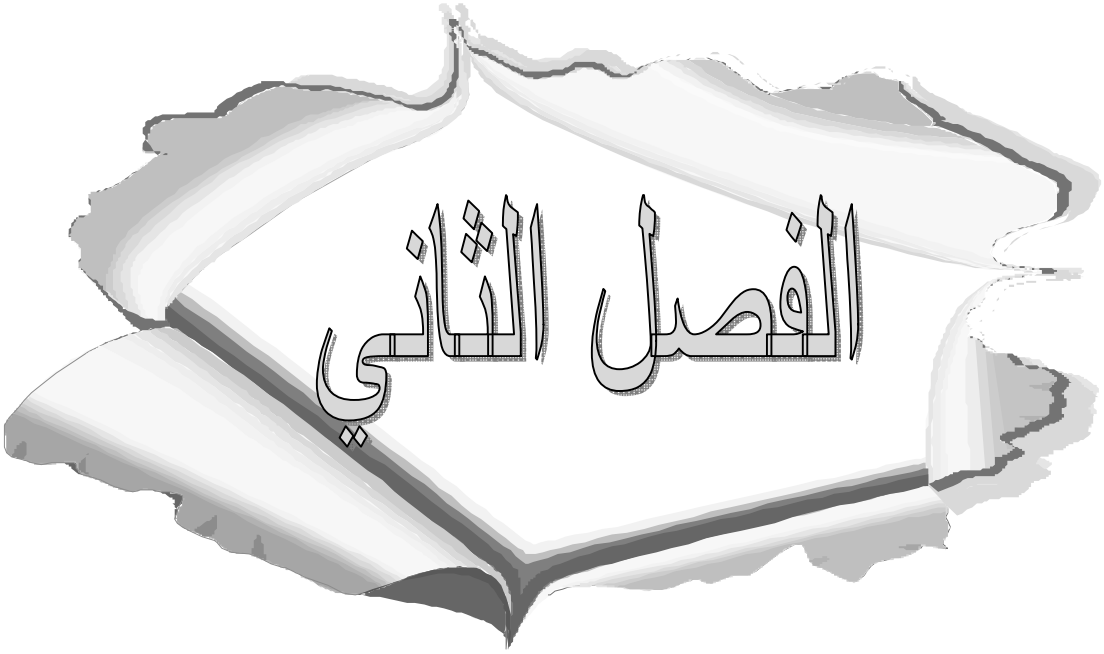
الفصل الثاني

المبحث الأول: دراسة الصورة البلاغية

إننا في هذه الدراسة قمنا بدراسة الشعر الأندلسي، وهذا ما سنمهد إليه من خلال هذه المقولة: «شهدت الأندلس إبان عصر الطوائف الكثير من الانقسامات بعد سقوط المدن فأخذ ضياعها يغرس في الأذهان حب وتعلق لا نظير لها بالأندلس ومظاهرها الخلابة، أو نبضات حنين وشوق إليها أو آفاق ندب ورثاء على الإنسان الضائع»[1]

يمكن القول أن كل هذه الأحداث والظروف السياسية والاجتماعية، قد تركت أثر كبير على الشاعر الأندلسي، لذلك سوف نأخذ بالحسبان أثر هذه الظروف في تشكيل الصورة البيانية هي التشبيه، الاستعارة والكناية وسوف نقف في بحثنا هذا عند كل وجه من الصور البلاغية.

[1]– محمد عبيد صالح السبهاني، الوجه البلاغي وأثره في السياق الشعري الأندلسي، دار غيدا، ط1، (2013م، 1434هـ)، ص 35.

المطلب الأول: إحصاء الصور البلاغية

الصورة البلاغية	عددها	موضوعها		سياقها
التشبيه	08	البليغ	03	مـــــن مبلـــــغ الملبسينا / أو صاغه ورقا / سران في خاطر الظلماء.
		الضمني	03	ويا نسيم الصبا / ويا حياة تملينا / وفي الجواب متاع.
		المفصل المؤكد	02	يا روضة / ولو صبا نحونا.
الاستعارة	12	المكنية	10	أن الزمان / غيض العدا / نكاد حين تناجيكم / والله ما طلبت أهواؤنا / يا ساري البرق / ويا نسيم الصبا / فهل رأى الدهر / كأننا لم نبت / لم تجف
		التصريحية	03	يا روضة / قال الدهر آمينا / من لو على القرب حيا كان يحيينا.
الكناية	18	كناية عن صفة	12	غيض العدا / فانحل ما كان معقودا / تفرقنا / لا جفت مآقينا / يرجي تلاقينا / أن تفرقوا عين حسد / سوداً بكم بيضا / لا أكؤس / بدر الدجى / بيض الأيادي.
		كناية عن موصوف	06	جانب العيش طلق / ليسق عهدكم / يا ساري البرق / ذكرنا الحزن / الصبر ناسيا / نأسى عليك

الحجاج في الاستعارة:

ومن الصور البيانية التي سنقوم بدراستها هي: الاستعارة بجميع أنواعها والتي تتمثل في (الاستعارة المكنية والاستعارة التصريحية).

1- مفهوم الاستعارة:

«من المجاز اللغوي، وهي تشبيه حذف أحد طرفيه، فعلاقتها المشابهة دائما، وهي قسمان:

أ- الاستعارة التصريحية:

وهي ما صرح فيها بلفظ. المشبه به.

ب- الاستعارة المكنية:

وهي ما حذف فيها المشبه به ورمز له بشيء من لوازمه».[1]

يمكن القول أن الاستعارة تعبير لغوي تقوم بتوظيف الكلام في غير محله بحذف أحد طرفيه وبالتالي تكون هذه العلاقة مشابهة لها، وهي نوعان استعارة مكنية واستعارة تصريحية.

الأولى: فيكون المشبه به حاضرا.

أما الثانية: فتكون خفية وترك ما يدل عليه.

ونجد الشاعر ابن زيدون في نونيته يوظف الاستعارة من خلال قوله:

"أن الزمان الذي مازال يضحكنا..... أنسا بقربهم، قد عاد يبكينا."[2]

عمد الشاعر في هذا البيت إلى تشخيص الزمان فشبهه بالإنسان المضحك وجسمه باستعارة مكنية، صرح فيها بالمشبه وهو "الزمان" وحذف المشبه به وهو "الإنسان المضحك"، وترك لنا أحد لوازمها وهي الفعل يضحكنا على سبيل الاستعارة المكنية.

---

[1]- على الجارم ومصطفى أمين؛ البلاغة الواضحة، البيان المعاني، البديع، دار المعارف، د ط، ص 77.

[2]- شرح الدكتور يوسف فرحات، ديوان ابن زيدون، دار الكتاب العربي، بيروت، ط2، 1415هـ - 1994م، ص 298.

وفي بيت آخر في قوله:

"غيض العدا من تساقينا الهوى فدعوا بأن نغص، فقال الدهر آمينا".[1]

ظهرت الصورة البيانية في الاستعارة في قوله "تساقينا الهوى" فاستعار لفظ الشراب للهوى، فصرح بالمشبه وهو "الهوى" وحذف المشبه به وهو "الشراب"، وترك قرينة دالة عليه وهي "تساقينا" على سبيل الاستعارة المكنية.

وفي بيت آخر عن الاستعارة المكنية قوله:

"تكاد حين تناجيكم ضمائرنا يقضي علينا الأسى لولا تأسينا.[2]

شخص الضمائر من خلال الاستعارة المكنية التي صرح فيها بالمشبه وهو "الضمائر" وحذف المشبه به وهو "الناس"، وترك قرينة "تناجيكم" على سبيل الاستعارة المكنية.

ونجد أيضا الاستعارة المكنية في قول ابن زيدون:

"والله ما طلبت أهواؤنا بدلا منكم ولا انصرفت عنكم أمانينا"[3]

استخدم الشاعر في هذا البيت الاستعارة المكنية في كلا الشطرين، فصرح بالمشبه وهو "الأهواء والأماني" وحذف المشبه به وهو "الشخص الذي ينصرف"، ويترك قرينة دالة على ذلك وهي "طلبت وانصرفت".

وفي بيت آخر للاستعارة المكنية قوله:

"يا ساري البرق غاد القصر واسق به من كان صرف الهوى والود يسقينا"[4]

عمد الشاعر إلى تشخيص الطبيعة من خلال مناجاة البرق من خلال الاستعارة المكنية التي صرح فيها بالمشبه وهو"البرق" وحذف المشبه به وهو "الإنسان" وترك قرينة دالة على ذلك على سبيل الاستعارة المكنية.

---

[1]– شرح د– يوسف فرحات، ديوان ابن زيدون، ص 298.

[2]– المصدر نفسه، ص 299.

[3]– المصدر نفسه، ص 300.

[4]– المصدر نفسه، ص 300.

"ويا نسيم الصبا بلغ تحيتنا من لو على البعد حيا كان يحيينا"[1]

جعل الشاعر من الطبيعة شخص يبلغ التحية مستخدما الاستعارة المكنية، قد صرح بالمشبه وهو"نسيم الصبا" وحذف المشبه به وهو"الشخص"، وترك قرينة دالة على ذلك وهي"بلغ تحيتنا" على سبيل الاستعارة المكنية.

كما وظف في بيت آخر الاستعارة المكنية في قوله:

"فهل أرى الدهر يقضينا مساعفه منه، وإن لم يكن غيا تقاضينا."[2]

حضرت الاستعارة المكنية في البيت فصرح الشاعر بالمشبه وهو"الدهر" وحذف المشبه به "القضاء"، وترك قرينة دالة على ذلك وهي "المساعفة."

وفي بيت آخر تظهر الاستعارة في قوله:

"كأننا لم نبت، والوصل ثالثنا والسعد قد غض من أجفان واشينا"[3]

يقول الشاعر في هذا البيت أن السعد أجبر الوشاة على غض أبصارهم، وبذلك تظهر الاستعارة واضحة بحيث صرح الشاعر بالمشبه "السعد" وحذف المشبه به وهو الشيء الذي يمنع الإبصار، وترك قرينة دالة على ذلك"غض من أجفان واشينا" على سبيل الاستعارة المكنية.

"سران في خاطر الظلماء يكتمنا حتى يكاد لسان الصبح يفشينا"[4]

استعار الشاعر في هذا البيت اللسان للصبح فصرح بالمشبه وهو "الصبح" وحذف المشبه به وهو "الإنسان" وترك قرينة دالة على ذلك "اللسان " على سبيل الاستعارة المكنية.

كما جعل للظلماء خاطرا يكتم السر فركب بذلك استعارة مكنية أخرى.

---

[1]– شرح د– يوسف فرحات، ديوان ابن زيدون، ص 300

[2]– المصدر نفسه، ص.300.

[3]– المصدر نفسه، ص 301.

[4]– المصدر نفسه، ص 302.

وفي بيت آخر في قوله:

"لم نجف أفق جمال أنت كوكبه سالينا عنه، ولم نهجره قالينا"[1]

استعار الشاعر في هذا البيت الأفق للجمال وجعل لها الأفق كوكب يزينه على سبيل الاستعارة المكنية.

2) الحجاج في التشبيه:

التشبيه من أبرز عناصر الصور البيانية، فهو يقنع السامع عن طريق الترغيب في الشيء ويكون الكلام فيه مبالغا.

التشبيه «بيان أن شيء أو أشياء شاركت غيرها في صفة أو أكثر، بأداة هي الكاف أو نحوها ملفوظة أو ملحوظة[2]»

ما نلاحظه من خلال هذا التعريف أن التشبيه عبارة عن الاشتراك أو الإفراد في الشيء، سواء أكان مكتوبا أو ملحوظا، وذلك بواسطة أداة.

فالتشبيه يقنع السامع عن طريق الترغيب في الشيء من خلال حسنه أو التغير منه من خلال قبحه.

حيث استخدم ابن زيدون عددا من التشبيهات، ويظهر ذلك من خلال قوله:

"من مبلغ الملبسينا، بانتزاحهم حزنا مع الدهر لا يبلى ويبلينا"[3]

حيث وظف الشاعر التشبيه البليغ في هذا البيت والذي سيطر الحزن على نفسه باللباس أو بثوب يلبسه أو يكسو جسمه ولا يقدم ولا يبلى، فرحيل الأحباب قد ألبسه الحزن ثيابا ولا تبلى.

---

[1]– د– يوسف فرحات، ديوان ابن زيدون، ص 302.

[2]– علي الجارم ومصطفى أمين؛ البلاغة الواضحة، البيان المعاني البديع، ص 20.

[3]– د– يوسف فرحات، ديوان ابن زيدون، ص 298.

ومن التشبيه الضمني نجد:

"ويا نسيم الصبا بلغ تحيتنا من لو على البعد حيا كان يحيينا"[1]

ويسترسل الشاعر في تخيله، فجعل الطبيعة تشاطره أحزانه، وتنقل مشاعره، فساري البرق يغاد القصر ويسقيه، ويسأل عن الحبيب، فزاد المعنى زيادة لطيفة بهذا التشبيه الضمني، فقد شبه اللقاء بالحياة والبعد بالموت.

ويذكر أيضا في التشبيه البليغ في قوله ابن زيدون:

"أو صاغه ورقا محضا، وتوجه من ناصع التبر إبداعا وتحسينا

حيث يحمله الخيال إلى رحاب أوسع فينقاد له تشبيه آخر، يصرف المسك إلى طيب الرائحة، ويجعل الجسد قد صيغ من فضة خالصة، وتوج الجبين بالذهب الخالص.

كما نجد التشبيه المفصل المؤكد في قوله:

"يا روضة طالما أجنت لواحظنا وردا، جلاه الصبا غضا ونسرينا"[2]

استخدم الشاعر التشبيه المفصل المؤكد في هذا البيت، من خلال تشبيه المحبوبة بالروضة المتمثلة بالورود.

وفي بيت آخر للتشبيه الضمني نجد في قوله:

"ويا حياة تملينا بزهرتها منى ضروبا، ولذات أفانينا"[3]

قام الشاعر هنا بتشبيه محبوبته بالزهرة التي يستمتع بجمالها وحبها، مما زاد المعنى رونقا وإبداعا.

[1]– د– يوسف فرحات، ديوان ابن زيدون، ص 300.

[2]– المصدر نفسه، ص 301.

[3]– المصدر نفسه، ص 301.

وفي بيت أخر للتشبيه البليغ قوله:

"سران في خاطر الظلماء يكتمنا حتى يكاد لسان الصبح يفشينا"[1]

وظف الشاعر التشبيه البليغ في هذا البيت حين جعل نفسه ومحبوبته سران، وجعل للصبح لسان يفشي هذين السرين.

وفي بيت أخر للتشبيه المفصل في قوله:

"ولو صبا نحونا، من علو مطلعه بدر الدجى لم يكن حاشاك يصبينا"[2]

إذ يعود الشاعر لتأكيد وفائه بلغة أخرى، حيث قام فيها بتشبيه المحبوبة بأنها بدر بل تفوق البدر ألفا وجمالا وبهاء.

وفي بيت أخر للتشبيه الضمني قوله:

"وفي الجواب متاع، إن تشفعت به بيض الأيادي، التي مازالت تولينا"[3]

وإن أضفت إلى ما أسديت لنا من نعم جواب ولا زلنا نتشوق إليه، لأمتعنا ذلك، جعل بيض الأيادي من نعيم الحب، وتلك الأيام التي أمضياها معا على سبيل التشبيه.

ونستخلص من هذه الدراسة أن نونية ابن زيدون قصيدة زاخرة من حيث التشبيه، إذ نلمس ذلك الحضور الذي يخدم فكرة القصيدة، ويدل على الحالة الشعورية المتأزمة التي تفضي إلى الحزن والأسى.

الحجاج في الكناية:

تعتبر الكناية إحدى مباحث علم البيان المهمة، لأنه يعطي الحقيقة المصحوبة بالدليل والبرهان، فاستعمل شاعرنا الكناية في قصيدته للتعبير عن الحالة النفسية التي يعيشها.

[1]– يوسف فرحات، ديوان ابن زيدون، المصدر نفسه، ص 302.

[2]– المصدر نفسه، ص 303.

[3]– المصدر نفسه، ص 303.

1 تعريف الكناية:

«هي لفظ أطلق وأريد به لازم معناه مع قرينة لا تمنع من إرادة المعنى الأصلي» [1]

وما نفهمه من خلال هذا التعريف أنه كلام أطلق وأريد به غير معناه، أي أنه يمكن أن يكون معناه الأصلي مقصودا أيضا مع المعنى المراد إيصاله.

تتميز الكناية بقوة حجاجية كبيرة، فالكناية هنا يريد بها المتكلم إثبات معنى من المعاني فلا يذكره باللفظ وإنما يرمز له.

وما يفضي إلى حجاجية الكناية العلاقة التي تكون بين المعنى الذي يقصده المحاجج والمتلقي الذي يوجه المعنى، ونلمس ذلك في هذا القول:

"غيض العدا من تساقينا الهوى فدعوا بأن نغص، فقال الدهر أمينا"[2]

يسوق الشاعر الصورة الكنائية في قوله "فدعوا" كناية عن تمكن حبه من قلب محبوبته وتمكنها منه، وأنه كان جارفا لا يعيق مسيرته شيء، بحيث لم يجدي الأعداء في إفساد حبهما إلا الدعاء إنما يلجأ إليه العاجز عن إدراك طلبته وبخاصة إذ كان دعاء شر وإفساد ذات البين كما هنا.

وكذلك تأتي الصورة الثانية في تأمين الدهر "آمينا" كناية عن رمي المحبوبين بالدواهي الفاتكة بعشقهما.

ثم يأتي البيت التالي أيضا متكاثف الصور البيانية، وندرس منها الكناية، حيث يقول الشاعر.

"فانحل ما كان معقودا بأنفسنا، وأنبنت ما كان موصولا بأيدينا"[3]

في الشطر الثاني توحي جملة "وأنبنت ما كان موصولا بأيدينا" صورة كنائية بقرينة الحال مع وضعها بإزاء الجملة الأولى "فانحل ما كان معقودا بأنفسنا" فتآزر الصورتان على

---

[1]– السيد أحمد الهاشمي. جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع. المكتبة العصرية، بيروت، 1999م، ص 287.

[2]– د– يوسف فرحات، ديوان ابن زيدون، ص 298.

[3]– المصدر نفسه، ص 298.

إفعام خيال المتلقي بما تفعم به نفس الشاعر، ووضع الجملة الثانية "وأنبنت ما كان موصولا بأيدينا" في محاولة للإيهام بمقابلة. الجملة الأولى "فانحل ما كان معقودا بأنفسنا"، وهذا نموذج أسلوبي بديع راقي، يحقق التوازن الجميل... .

وردت الكناية في بيت آخر أيضا، والذي يتمثل في قول ابن زيدون:

"وقد نكون وما يخشى تفرقنا فاليوم نحن وما يرجى تلاقينا"[1]

ويقسم البيت إلى معان متقابلة، أيضا في شطرين متوازنيين، كما هو شأنه في أغلب أبيات القصيدة، وقد جعل الشاعر الشطر الثاني "فاليوم نحن وما يرجى تلاقينا" بإزاء الشطر الأول "وقد كنا وما يخشى تفرقنا" فيجلي فروق ما بين حاليه من انتقاء الرجاء، وكذا متانة الارتباط ووثاقة الحب وبُعد الخشية من التفرق والقطيعة، ولا شك أن مقارنة ما بين حاليه أبلغ ما يألم النفس.

كناية عن متانة الحب أولا، وكمال الفساد لعلاقتهما ثانيا، ولما كان التفرق مقيتا غير مرغوب صاغه الشاعر تلك الصياغة الثقيلة "تفرقنا"، فهو أمر محذور يخشى ويذهب، وذلك ما يجلي الملائمة بين نائب الفاعل التفرق وفعله "يخشى" و"التلاقي" وفعله "يرجى".

ثم ينكر الشاعر على الأحبة الإصغاء للأعداء ويعاتبهم في إتاحتهم للحاقدين أجواء السرور والشماتة موظفا الكناية في ذلك..

يقول الشاعر:

"ما حقنا أن تقروا عين ذي حسد بنا، ولا أن تسروا كاشحا فينا"[2]

ويلجأ الشاعر إلى الصورة كناية في هذا الأسلوب "تقروا عين ذي حسد" فقرار العين أمارة الاستقرار والرضا والطمأنينة، والحاسد يوظف عينيه ويسلطهما على المحسود ليفتك به، فإذا هدأت عينه وقرت انصرفت عن المحسود كان ذلك أمارة نيله المراد وظفره بالبغية، فترك الشاعر أن يقول ما حقنا عليكم أن تطيعوا فينا الأعداء أو الحاسدين، وتخطى ذلك إلى ما وراءه من لوازمه ليقرن الدعوى بالدليل على صدق وقوعها.

[1]– د– يوسف فرحات، ديوان ابن زيدون، ص 298.

[2]– المصدر نفسه، ص 299

إذ ترتفع نبرة الأسى ويشتد لهيب الفراق في البيت التالي:

"بنتم وبنا، فما ابتلت جوانحنا شوقا إليكم، ولا جفت مآقينا"[1]

يقول أنه بان وفارق أحبته، وأنهم كذلك بانوا وفارقوه، فترتب على ذلك جفاف حياته والتهاب جوانحه اشتياقاً إليهم.

وعلى غالب عادته يبني صورته الكنائية "ولا جفت مآقينا" في الشطر الثاني كناية عن دوام الحزن وملازمة الحسرة والأسى، بقرينة سوقها في أعقاب الصورة الأولى.

وينفي الشاعر صور الإرواء الروحي كلها بنفيه أدناها درجة "فما ابتلت جوانحنا" كناية عن قسوة حياته وجفاف ينابيع الهوى عليه بينونة الأحبة، وفي المعنى الأول ينص الشاعر على صدور الفعل من الطرفين، هو وحبيبته "بنتم وبنا" ويقدم بينهم على بينة تنبيها على تسببهم إلى ذلك البين، وكأن البين قد فرض عليه ووجه هو إليه وأنه لم يرجحه اختيارا... .

ثم نجده في المعنى الثاني يسند البين إلى نفسه فقط، إسنادا منفيا "فما ابتلت جوانحنا" ولم يجئ بمقابلة "ولا ابتلت جوانحنا" لأنه معني بإظهار تهالكه هو حالة تدللهم، إيماء إلى رفعة قدرهم وجسارة قلبهم على احتمال فراقه وضعف احتماله... .

ونذكر أيضا:

"حالت لفقدكم أيامنا، فغدت سواد بكم بيضا لياليا"[2]

بين الشاعر حالته المتقلبة والمتأزمة بعد فقدانه لأحبابه عن طريق الكناية باستخدام الألوان فالسواد لفقدان الأحباب والبياض حينما كانوا حاضرين.

ومن الكنايات التي وظفها ابن زيدون في قصيدته نجده في هذا البيت.

[1]– د– يوسف فرحات، ديوان ابن زيدون، ص 299

[2]– المصدر نفسه، ص 299.

يقول ابن زيدون:

"إذ جانب العيش طلق من تألفنا ومربع اللهو صاف من تصافينا"[1]

يمثل قول الشاعر "العيش طلق" كناية عن الهناء في الحياة الهادئة الناعمة والتي لم يعكر صفوها حزن ولا ألم.

وكذلك يذكر في هذا البيت:

"ليسق عهدكم عهد السرور فما كنتم لأرواحنا إلا رياحينا"[2]

ويبني الشاعر الفعل "يسقي" لغير فاعله ويطلق الفعل عن التقييد بفعل واحد لإفادة التعميم، فيدعوا بأن يُسهم في سقيا تلك الذكريات التي يسميها عهدا،وهذا الدعاء بالسياق تتجلى فيه الكناية، حيث تتمثل في "ليسق عهدكم" فهي كناية عن حميمية العلاقة الباقية من طرف الشاعر، فالعهد لا يسقى وإنما تسقى التربة الكريمة التي تنتج الخير.

يقول الشاعر ابن زيدون:

"يا ساري البرق غاد القصر واسق به من كان صرف الهوى والود يسقينا"[3]

تحضر الكناية هنا في هذا البيت في قوله: "يا ساري البرق" فتظهر قيمة هذه الكناية هنا في قوة الرغبة ورجائه في سرعة السقيا للحبيبة.

ويقول أيضا:

"ربيب ملك كأن الله أنشأه مسكا، وقدر إنشاء الورى طيبا"[4]

حضرت الكناية هنا، فقول الشاعر "ربيب الملك" فهي كناية عن العز والرفاهية، وظف الشاعر هذه الكناية ليختصر كثيرا من المعاني والصفات التي أرادها من مثل أنهم مستقر

[1]– د– يوسف فرحات، ديوان ابن زيدون، ص 299.

[2]– المصدر نفسه، ص 299.

[3]– المصدر نفسه، ص 300.

[4]– المصدر نفسه، ص 300.

عزه، وملوك حاضرة وأن الحبيب تربى تربية القصور...، فأصاب كل هذه المعاني في كلمتين ولمح إلى مكانتها وجمالها وتمام خلقها.

ونمضي مع الشاعر إلى البيت التالي فيقول فيه:

"إذا تأود آدته، رفاهية توم العقود، وأدمته البرى لينا"[1]

فالشاعر هنا يصف محبوبته، فقد وصف لنا حسبها وقدرها، كما وصف لنا بعض مظاهر جمالها وكذلك ما يزيد من جمالها عن طريق الحركة، فنرى الكناية هنا عن أصالة التدلل فالمحبوبة تؤوده توم العقود لا إرهاقا وإيذاء لكن رفاهية وتنعما، حيث جاء تضعيف عين الفعل كناية التثني في المحبوبة، وأنه ليس مصطنعا، وتصوير لنعومة جسدها.

وجاءت الكناية كذلك في قوله:

"لا غرو في أن ذكرنا الحزن حين نهت عنه النهى وتركنا الصبر ناسينا"[2]

ونلمس الكناية في هذا البيت أنه ينفي وجوه العجب من نزول الحزن به في أوقات استيجاب نسيانه وطرده عن النفس، وكذلك لا وجه للعجب من تركه الصبر ناسيا إياه، وكيف لا يتلبس بالحزن ولا ينس الصبر وقد تلفع بأثواب الأسى، ومر عليها بصنوفها جلية محققة، وإذا ذكر الحزن فقد نسي الصبر وتلبس بحالة مغايرة، فلا عجب من ذلك.

ويقابل الشاعر بين "ذكر الحزن" و"نسيان الصبر" لفتا إلى تقلب النفس بين الأحوال المتغايرة، كناية عن حزنه ومعاناته التي يقاسمهما.

ونراه يحضرها في بيت آخر كذلك فيقول:

نأسى عليك إذا حثت مشعشعة فينا الشمول، وغنّانا مغنّينا"[3]

[1]– يوسف فرحات، ديوان ابن زيدون، ص 300.

[2]– المصدر نفسه، ص 302.

[3]– المصدر نفسه، ص 302.

ونرى أن ابن زيدون قد وظف الكناية في هذا البيت من خلال قوله "نأسى عليك" فهي كناية عن تمكن الأسى من نفسه وتغلغله في كيانه كله على حال، إذ ذكر أهون الأحوال حزنا وهو وقت شرب الخمر ولحظات صنعها صنيعها في النفوس.

ويقول أيضا:

"لا أكؤس الراح تبدي من شمائلنا سيما ارتياح ولا الأوتار تلهينا"[1]

وفي جملة "لا أكؤس الراح تبدي من شمائلنا سيما ارتياح" كناية عن انتقاء صفة الهناء والراحة أصلا، وهذا أقوى بسوق الدليل القاطع على انتقاء الراحة...

ومع ذلك لا تأثير لها فيه، كناية عن شدة البلوى وقوة الأسى، ويجمع الشاعر"شمائلها" وعلامات حسنه وبهاءه وشهامته استعراض لوفرة أسبابها من أدب وجاه وعز سلطان، ورمز الشاعر إلى عوامل التأثير الباطنية من خلال فعل الراح في نفسه، وكل عوامل التأثير الظاهرية من خلال أنغام وأوتار وقسي المعارك.

يقول ابن زيدون:

"ولو صبا نحونا، من علو مطلعه، بدر الدجى لم يكن حاشاك يصبينا"[2]

جاءت الكناية هنا عن تكامل الحسن، ومعنى أنه رأى المرأة الفاتنة "بدر الدجى" مما يؤكد على وفاء الشاعر لمحبوبته وشدة تعلقه بها حتى لو انقطعت الصلات بينهما.

وآخر ما ذكره الشاعر عن الكناية في هذه القصيدة، وذلك من خلال قوله:

"وفي الجواب متاع، إن شفعت به بيض الأيادي، التي مازالت تولينا"[3]

---

[1]– يوسف فرحات، ديوان ابن زيدون، ص 303.

[2]– المصدر نفسه، ص 303.

[3]– المصدر نفسه، ص303.

يقيد الشاعر شفاعتها بذلك الجواب "بيض الأيادي" لقوة تعلقه لحصول تلك الشفاعة، حتى صارت كأنها واقع يحكي أنه قد تم تحصيلها فعلا، وفي بيض الأيادي كناية عن جميل المعروف الذي كانت تصبه عليه.

وفي الأخير ومن خلال دراستنا لهذه القصيدة والإطلاع على ما وظفه الشاعر من كنايات نجده أنه أكثر منها، لغرض إيصال المعنى المراد إبلاغه عن ما يعانيه من أسى وألم فراق ومدى إخلاصه لمحبوبته.

المطلب الثاني: البنية والروابط الحجاجية

أولا: البنية الحجاجية:

بعد هذه الجولة الخاطفة مع الشعر الأندلسي من خلال تحليل نونية ابن زيدون الغزلية الشهيرة في حب ولادة بنت المستكفي (أضحى التنائي) يطيب لنا أن نقوم بدراسة بنيتها الحجاجية.

1_ تعريف البنية الحجاجية:

البنية هي: "النظام المتسق الذي تتحدد كل أجزاءه بمقتضى رابطة تماسك، تجعل من اللغة مجموعة منتظمة من الوحدات أو العلامات التي تتفاضل ويحدد بعضها بعضا سبيل التبادل"[1].

أي أن البنية هي نظام لغوي متماسك ومترابط، بحيث أننا إذا فصلنا بينها لا يكتمل المعنى، مما تجعل اللغة منتظمة من الوحدات والعلامات التي تحدد بعضها البعض.

[1]– سمير سعيد حجازي: النظرية الأدبية ومصطلحاته الحديثة، دار طيبة للنشر والتوزيع العلمية، القاهرة، 2004، ص 106.

2_ البنية الحجاجية في نونية ابن زيدون:

من خلال إطلاعنا وتعرفنا على تعريف البنية الحجاجية، عملنا على تطبيقها على إحدى قصائد ابن زيدون، والتي تتجلى في نونية "أضحى التنائي"، حيث أن الشاعر كتب هذه القصيدة معبرا على جوارحه الجياشة اتجاه ولادة بنت المستكفي.

2-1 موضوع القصيدة:

امتازت نونية ابن زيدون بصدق الشعور وقوة العاطفة ولهيب المعاناة التي تجرعها الشاعر من مآسي وحزن واشتياق، حيث قال ابن كثير عنها: "وفيها صنعة قوية مهيجة على البكاء لكل من قرأها أو سمعها، لأنه ما من أحد إلا خرق حبا أو نسيبا"[1].

حيث تتمحور قصيدته حول التجافي والشقاق والألم، مما سببته هجرة ولادة بنت المستكفي، التي ساءت العلاقة بينها إلى الأسوأ، أو على عالة الشعراء في تلك الحقبة، نرى ابن زيدون ينتج أبياته لمرارة القطيعة، مما يعكس بجلاء ما تمر به نفسه من ألم و حسرة مرارة الفراق، ويذكر ذلك في البيتين التاليين:

"أن الزمان الذي مازال يضحكنا أنسا بقربهم قد عاد يبكينا"[2]

"نكاد حين تناجيكم، ضمائرنا يقضي علينا الأسى لولا تأسينا[3]

[1]– محمد أحمد سعيد، أستاذ البلاغة والنقد بجامعة طبية، ملامح الإيداع في الشعر الأندلسي، قصيدة أضحى التنائي نموذجا، مجلة جامعة للآداب والعلوم الإنسانية، السنة الخامسة، 1437 هـ، ع 09، ص 681.

[2]– د– يوسف فرحات، ديوان ابن زيدون، ص 298.

[3]– المصدر نفسه، ص 299.

عمد ابن زيدون في هذه القصيدة إلى إبداعه لوصفه ولادة بنت المستكفي من خلال التغزل والهيام بها، كما رآها وأحبها. ويذكر ذلك من خلال قوله:

"ويا نسيم الصبا بلغ تحيتنا من لو على البعد حبا كان يحيينا"[1]

حيث شبهها وغزلها نسيم الصبا ويحضر أيضا بهيامه في البيت التالي:

"يا روضة طالما أجنت لواحظنا وردا، جلاه الصبا، غضا، ونسرينا"[2]

فهو يشبهها بروضة غنّاء بالخير والجمال.

ففي هذه القصيدة أراد ابن زيدون بإقناع ولادة بنت المستكفي بأنه رغم البعد والجفا إلا أنه لم ينساها ولن ينساها ورغم بعدها إلا أنه يحن إلى لقياها وعودتها ويخبرها عن شوقه وحنينه لها.

2-2 أطراف الحجاج

2. 2. 1 المتكلم: ابن زيدون

حيث ورد في هذه القصيدة أن الطرف المتكلم هو ابن زيدون الذي يقع في الذروة بين شعراء الأندلس من حيث ملكات التعبير الأدبي وما صاحبها من إبداع فني، وقد أشاد كل من تحدثوا عنه أو ترجموا له من السابقين وخاصة ابن بسام في الذخيرة: "له شعر ليس للسحر بيانه، ولا للنجوم الزهر اقترانه."[3]

[1]- د- يوسف فرحات، ديوان ابن زيدون، ص 300.

[2]- المصدر نفسه، ص 301.

[3]- زليخة دقيش، بناء القصيدة الغزلية الأندلسية عصر ملوك الطرائف "تونية ابن زيدون" مذكرة لنيل شهادة الماستر، سنة 2014/2013، ص 17.

ويتحلى حضوره في الأبيات من خلال ضمير الجماعة (نا) فأفضى ذلك على القصيدة فخامة ووقارا مهذبا.

تتمثل في:

"أضحى التنائي بديلا من تداينا وناب عن طبيب لقيانا تجافينا"[1]

"فأنحل ما كان معقودا بأنفسنا، وانبنت ما كان موصولا بأيدينا"[2]

"ما حقنا أن تقروا عين ذي حسد بنا، ولا أن تسروا كاشحاً فينا"[3]

وظهر لمرة واحدة بضمير المتكلم (أنا) في قوله:

"يا ليت شعري، ولم نعتب أعاديكم، هل نال حظا من العتبى أعادينا"[4]

2. 2. 2 المتلقي: ولادة بنت المستكفي

أضفى ابن زيدون على الحبيبة ولادة بنت المستكفي هالة من الوقار والحشمة، وظلال كثيفة من التقدير والتوقير، بالحاجة على خطابها بأغلب أبيات القصيدة بضمير جماعة المخاطب "أنتم" كذلك توظيفه الضمير أنت في بعض أبيات القصيدة يقول:

"ويا حياة تمليتا، بزهرتها، منى ضروبا، ولذات أفانينا"[5]

"لسنا نسميك إجلالا وتكرمة، وقدرك المعتلي عن ذاك يغنينا"[6]

---

[1]– يوسف فرحات. ديوان ابن زيدون،. ص 298

[2]– المصدر نفسه، ص 298

[3]– المصدر نفسه، ص 299

[4]– المصدر نفسه، ص 289

[5]– المصدر نفسه، ص 201

[6]– المصدر نفسه، ص 301

"عليك منا سلام الله ما بقيت صبابة بك تخفيها، فتخفينا"[1]

ويخاطبها أيضا بأوصاف رائعة ونلمس ذلك في الأبيات التالية:

"لم نجف أفق جمال أنت كوكبه سالين عنه، ولم نهجره قالينا"[2]

"ولو صبا نحونا، من علو مطلعه، بدر الدجى لم يكن حاشاك يصبينا"[3]

2. 2. 3 القضية التي عالجها الشاعر

أراد ابن زيدون إقناع ولادة بنت المستكفي أنه يهيم في حبها رغم قساوة الزمان، ويظهر ذلك من خلال قوله:

" أن الزمان الذي مازال يضحكنا أنسا بقربهم قد عاد يبكينا"[4]

رغم انصرافها عن عاشقها: "فتركته ما يحير حرفا، ولا يرد طرفا.

وسرعان ما تبعها وتبادلا العشق والغرام، ولم تجد ابن زيدون توسلاته لمعشوقته وتفرغاته، وحاول أن يسعى إليها من ابن عبدوس"[5]

استمر يعاتب ويحاذر ويلين ويعنف ولم ينقطع حبه لولادة وأراد عودتها بل ظل يذكرها ويعاتبها وهو يفصح عن ذلك في لهفة وحرقة وحنين بالغ. ومن خير الأمثلة التي تصور جروحه النفسية ودعوته العودة إليها فيها يقول:

"بنتم وبنا فما ابتلت جوانحنا شوقا إليكم، ولا جفّت مآقينا"[6]

---

[1]– يوسف فرحات: ديوان ابن زيدون، ص 298.

[2]– المصدر نفسه، ص 302

[3]– المصدر نفسه، ص 303

[4]– المصدر نفسه، ص 303

[5]– د– شوقي ضيف: نوابغ الفكر العربي ابن زيدون، دار المعارف، الطبعة الحادية عشرة. د. ت، ص 22. 23.

[6]– يوسف فرحات: ديوان ابن زيدون، ص 299.

"دومي على العهد، ما دمنا، محافظة فالحر من دان إنصافا كما دينا"[1]

3 بنية الحجاج:

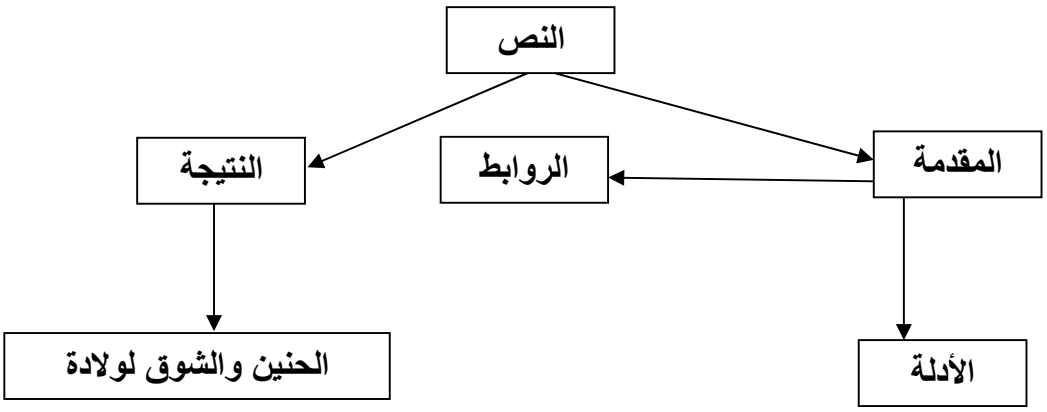

من خلال هذا المخطط نلاحظ أن النص عبارة عن مقدمات ونتائج إذ يحمل في طياته مجموعة من الأدلة التي توفي بالغرض والوصول إلى هدف ما.

1_ مفهوم النص: ومما جاء في الدراسات العربية الحديثة بتعريف النص، نجد التعريف الذي قال به الأزهر الزنادي: "النص نسيج من الكلمات يربط بعضها ببعض، هذه القيود تجمع عناصرها المختلفة والمتباعدة في كل واحد، هو ما نطلق عليه مصطلح نص"[2].

على اعتبار منه أن النص والنسيج يلتقيان في بعض الوجوه، فهنا الأزهري جعل المتاع بعضه على بعض، أي ربط الكلمات والجمل فيما بينها بأداة فلو حذفت لما تم المعنى.

[1]– الأزهر الزنادي: نسيج النص بحث فيما يكون به الملفوظ المركز الثقافي العربي، بيروت، الدار البيضاء، ط1، 1991م، ص 12.

[2]– المرجع نفسه، ص 303

1-1 المقدمات:

بعد اطلاعنا وقراءتنا لهذه القصيدة (أضحى التنائي) للشاعر الأندلسي ابن زيدون يتبين لنا أن محورها يدور حول التغزل والحنين لولادة بنت المستكفي، حيث أنه لم يقطع حبه لها:

"ظل يذكرها ويعاتبها ما كان من هجرها بل من عذرها وعدم وفائها وبيعها لحبه بغية تحبس ووكس، وهو يفصح عن ذلك في لهفة وحرقة وحنين وشجى بالغ"[1]

ومن خير الأمثلة التي تصور جروحه النفسية حينئذ قصيدته التي أرسلها إليها بعد خروجه من السجن ونذكر منها بعض الأبيات:

"أن الزمان الذي مازال يضحكنا أنسا بقربهم قد عاد يبكينا[2]"

"غيض العدا من تساقينا الهوى فدعوا بأن نغص فقال الدهر آمينا"[3]

"وقد نكون وما يخشى تفرقنا فاليوم نحن وما يرجى تلاقينا"[4]

"كنا نرى اليأس تسلينا عوارضه وقد يئسنا فما لليأس يغرينا"[5]

وتتمثل مقدمات هذه الأبيات فيما يلي:

ونبدأ في استخراج المقدمات في هذا البيت:

"إن الزمان الذي مازال يضحكنا أنسا بقربهم قد عاد يبكينا"

---

[1]– شوقي ضيف، نوابغ العربي، ابن زيدون، ص 24،

[2]– يوسف فرحات، ديوان ابن زيدون، ص 298.

[3]– المصدر نفسه، ص 298،

[4]– المصدر نفسه، ص 298،

[5]– المصدر نفسه، ص 299،

قد كان الشاعر هنا يذكر في مقدمة هذا البيت أنه كان يضحك ويشعر بالارتياح في قرب الحبيب من حب وحنان الذي تبادله ويبادلها إياه، ويتمثل ذلك في قوله: (أن الزمان الذي مازال يضحكنا أنسا بقربهم) أما ما جاء به في مقدمته من البيت الثاني والذي قال فيه:

غيض العدا من تساقينا الهوى فدعوا بأن نغص فقال الدهر آمينا[1]

حيث تدور مقدمته هنا حول حسد الأعداء وغيرتهم منهما لرؤيتهما يتساقيان الحب والعشق فتمنوا الهجرة والشرب من كأس الألم والغدر، ويظهر ذلك من خلال هذا المقطع (غيض العدا من تساقينا الهوى فدعوا بأن نغص)

وفي بيت آخر:

"وقد نكون وما يخشى تفرقنا فاليوم نحن وما يرجى تلاقينا[2]

ورد في هذا البيت مقدمة يتحدث فيها عن الماضي وما كان يجوب فيه من قرب وعدم الافتراق، وأنهم لم يخشوا الفراق يوما مما كان بينهم من حب وغرام، ويتجلى ذلك في (وقد تكون، وما يخشى تفرقنا وفي المثال الخير من الأمثلة السابقة أراد ابن زيدون إيصال كلامه إلى محبوبته من خلال قوله في هذا البيت:

"كنا نرى اليأس تسلينا عوارضه وقد يئسنا فما لليأس يغرينا"[3]

وقد جاءت المقدمة في هذا البيت أن كلاهما لا يعرفان اليأس ولا يستسلمان للدهر والأعداء، ويظهر ذلك في المثال التالي:

(كنا نرى اليأس تسلينا عوارضه)

[1]– يوسف فرحات، ديوان ابن زيدون، ص 298.

[2]– المصدر نفسه، ص 298،

[3]– المصدر نفسه، ص 299،

2-1 – النتائج:

مثل هذه الدراسة مثل الدراسات السابقة التي تبين أن لكل مقدمة نتيجة، فكذلك نحن سنقوم بدراسة النتائج للمقدمات السابقة وأول بيت نبتدئ به قول الشاعر:

"أن الزمان الذي مازال يضحكنا أنسا بقربهم قد عاد يبكينا"[1]

أراد الشاعر هنا إرسال رسالة إلى حبيبته وإقناعها بأن فراقها تسبب له بالألم والبكاء وتستحضر الدليل على ذلك في (قد عاد يبكينا)

أما نتيجة مقدمة البيت التالي:

"غيض العدا من تساقينا الهوى فدعوا بأن نغص فقال الدهر آمينا"[2]

استجابة الدهر للأعداء وتفارق الأحباء وابتعادهم عن بعضهم البعض رغم ما كان يحملوه من هيام، ويتبين في المثال التالي: (فقال الدهر آمينا)

وقد تكون وما يخشى تفرقنا فاليوم نحن وما يرجى تلاقينا[3]

فقد جاءت نتيجة مقدمته وحوصلتها في كونه أنه لا يمكن أن يراها من جديد ولا يستطيع العودة إليها.

ونلمح ذلك فيما جاء به (فاليوم نحن، وما يرجى تلاقينا)

[1]– د– يوسف فرحات، ديوان ابن زيدون، ص 299.

[2]– المصدر نفسه، ص 299

[3]– المصدر نفسه، ص 299

تتجلى نتيجة هذا البيت الأخير في:

"كنا نرى اليأس تسلينا عوارضه وقد يئسنا فما لليأس يغرينا"[1]

فجاء في هذا البيت أن الشاعر أراد أن يقنع ولادة بنت المستكفي أن الدهر هو من فرق بينهما وحيرته لما وصلا إليه من فراق وغدرة الدهر، ويتبين ذلك في (وقد يئسنا فما لليأس يغرينا).

نستخلص من دراستنا السابقة للقصيدة بعد الأخذ منها بعضا من الأبيات كاعتبارها نموذجا تطبيقيا تبين لنا أن هذه القصيدة تحمل في طياتها مقدمة ونتيجة، إذ أنّ الأولى تدور في حيز واحد، ألا وهو الحنين والفراق، أما النتائج فكانت عبارة عن ما توصل إليه ابن زيدون من خلال الحجج التي جاءت في المقدمات، ولا ننس أيضا أن بين هذه المقدمات والنتيجة أدوات ربط حيث، تساعد على الانتقال من المقدمة إلى النتيجة.

4- الروابط الحجاجية:

يعد الحجاج من بين أهم النظريات التي ترتكز أساسا على الطريقة والأسلوب الذين يبينهما المتكلم ليغير من معتقدات المتلقي وإقناعه بالموضوع المراد إيصاله إليه، كاستعمال الإشارات والحجج، وكذلك لا ننس أن الخطاب الحجاجي لا يخلو من الروابط التي تكمل المعنى منى خلال ربط للكلمات أو الجمل، وهذا ما سنتطرق إليه من خلال استحضارها من ديوان ابن زيدون، وذلك في قصيدته أضحى التنائي.

4-1 – مفهوم الروابط الحجاجية:

"إن الروابط والعوامل الحجاجية هي أدوات لغوية تربط قولين أو حجتين على الأصح أو أكثر، وتسند لكل قول دورا محددا داخل الإستراتيجية الحجاجية العامة

[1]– يوسف فرحات، ديوان ابن زيدون، ص 299.

وتمثل في اللغة العربية بالأدوات الآتية: بل، لكن، حتى، لاسيما..... الخ"[1]

وما نفهمه من خلال هذا التعريف أن الروابط الحجاجية هي من أدوات أو حروف تقوم بالربط والإيصال بين الجمل والكلمات لإتمام المعنى المقصود دون سواه.

2-4- الرابط الحجاجي: (الواو)

يستعمل الواو حجاجيا وذلك بترتبه للحجج ووصل بعضها ببعض، بل وتقوية كل حجة منها الأخرى:

ولنأخذ هذا المثال في قصيدة ابن زيدون:

"حالت لفقدكم، أيامنا فغدت سودا، وكانت بكم بيضا لياليا"[2]

فالرابط الحجاجي هنا قام بالوصل بين المقدمة والنتيجة، حيث يعمل الرابط على تقوية هذه الحجج وزيادة تماسكها بعضها ببعض، وتقوية كل منها بالأخرى من أجل تحقيق النتيجة المبتغاة، وينتج عن الربط بالواو وعلاقة تتابع"[3]

أي أنه يقوم بالربط المتسلسل بين الحجج للوصول إلى ما يريد إقناع السامع بها.

ب) الرابط الحجاجي (الفاء)

الفاء من الروابط الحجاجية، وهي نفس الوظيفة التي يؤديها الرابط الحجاجي (حتى)، وكذلك (الواو)، إذا يضطلع بدور الجمع بين الحجج، ويقوي الحجج ببعضها البعض لتحقيق النتيجة المرجوة.

---

[1]- محمد صادق الأسدي، تداولية الخطاب الديني في كتاب التوحيد للشيخ الصدوق، مركز عين الدراسات والبحوث المعاصرة، ط1، ط2، (2018م - 1439هـ)، ص 170.

[2]- يوسف فرحات، ديوان ابن زيدون، ص، 299.

[3]- عبد الهادي بن ظافر الشهري، إستراتيجية الخطاب، مقارنة لغوية تداولية، دار الكتاب الجديد، ط1، بيروت، لبنان، 2004، ص 472.

ومن الروابط الحجاجية التي تكثر في قصيدة "أضحى التنائي" سنكتفي بدراسته هذه الأبيات:

"دومي على العهد، مادمنا، محافظة فالحر من دان إنصاف كما دينا"[1]

أولي وفاء، وإن لم تبذلي صلة فالطيف يقنعنا، والذكر يكفينا

حيث ربطت النتائج بالمقدمات أي عبر الرابط بين السبب والنتيجة فهي بذلك تقوم بحفر المعنى، وتحديد الفكرة وهو ما يسمح بإقامة بنية حجاجية مركبة من علاقات حجاجية بين الحجج والنتائج، تقوم أساسا على النتائج، ولذا تعد هذه العلاقة الحجاجية من أقدم العلاقات التي تفيد في بناء النص وتوليده وانسجامه

"وما يتميز به هذا النوع من الترابط التتابع عن غيره من الترابطات المنطقية الأخرى هو خاصية "ترتيب" الزمن، فهو الأساس فيه[2].

بالإضافة إلى ذلك فإن (الفاء) تتوفر على طاقة حجاجية عالية بكونها تدخل ضمن: "ما يسمى بالسبيل التفسيري في الحجاج، وهي تقنية في الحجاج تثير الانتباه، وتستجلب الإصغاء والتيسر، وبالتالي قبول الحجة القاطعة"[3].

[1]– يوسف فرحات، ديوان ابن زيدون ص،303

[2]– عبد الله صولة، الحجاج، أطرافه ومنطلقاته من خلال المصنف في الحجاج، البلاغة الجديدة، ضمن كتاب نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، كلية الأدب: تونس، 1998، ص 332.

[3]– الساعدي، حازم طارش حاتم، التركيب العلمية في القرآن الكريم، دراسة حجاجية، رسالة دكتوراه، 2014، ص 118

ج) الرابط الحجاجي (بل)

وهو من الروابط التي وظيفتها سوق الحجج أو المدرجة للحجج المتعارضة مثلها مثل (لكن) وتكمن حجاجيته في "أن المرسل يرتب بها الحجج في السلم بما يمكن تسميته بالحجج المتعاكسة، وذلك بأن بعضها منفي وبعضها مثبت، لأن (بل) أساس حرف إضراب،"[1]

وقد وردت (بل) في قصيدة أضحى التنائي في هذا البيت:

"كانت الشمس ظئرا في أكلته بل ما تجلى لها إلا أحايينا"[2]

إن الرابط الحجاجي (بل) قد ربط بين الحجج والنتائج من أجل الإقناع بما يريده، حيث ربطت بين أخذه نور وجمال الشمس عندما كان صغيرا، والنتيجة التي تتمثل أنه لم يظهر أمامها لوقت طويل.

وخلاصة القول من تحليلاتنا السابقة يتأكد لنا أن تلك الروابط الحجاجية في نموذجنا أضحى التنائي قد ساهمت في حجاجيتها وتسهيل تلقي الخطاب وفهمه والاقتناع به، فقد ساعدت الروابط بالوصول بين الحجج والنتائج وتتابعها وبيان ترتيبيها أو تعارضها أو تأكيدها أو سببيتها أو تثبيت النتيجة أو الانتقال والترقي... الخ، وساهمت أيضا في تشكيل البنية الحجاجية اللغوية العامة للخطاب وانسجامه، مما يسهل على المخاطب أن يتلقى هذا الخطاب ويفهمه، وتتحقق بذلك النتيجة الموجودة "التأثير والإقناع".

المطلب الثالث: التناص وأنواعه

يعتمد المتكلم على مجموعة من الأدلة والبراهين لإقناع السامع بما يريده بالاعتماد على نصوص ومقولات أخرى لإيصال موضوعه، وذلك باستحضار التناص، وهو ما سنتحدث عنه في مطلبنا هذا.

---

[1]– عبد الهادي بن ظافر الشهري، إستراتيجية الخطاب، ص 514

[2]– يوسف فرحات، ديوان ابن زيدون، ص 300

1- **مفهوم التناص:** هو عند "جوليا كريستيفا" أو ما جاء بهذا المصطلح "كل نص يتشكل من تركيبة فسيفسائية من الاقتباسات، وكل نص هو تشرب وتحويل النصوص الأخرى"[1]

فالتناص إذن هو التداخل النصي أو التعليقية النص أن النص الغائب أو وجود علاقة بين نصين إحداهما سابق والآخر لاحق، وهذه العلاقة تكون على صعيد الشكل أو المضمون أو كليهما معا.

ومن تعريفات التناص نجد أيضا: "التناص قانون جوهري: إذ هي نصوص تتم صناعتها عبر امتصاص وفي الوقت نفسه هدم النصوص الأخرى للفضاء المتداخل نصيا، ويمكن التعبير عن ذلك بأنه ترابطات متناظرة ذات طابع خطابي"[2]

نلاحظ من خلال هذا التعريف أن التناص هو نصوص متداخلة، حيث يمكن التعبير عن ذلك بأنه ترابطات فيما بينها.

أنواعه: أما أمثلة التناص عند ابن زيدون في قصيدته "أضحى التنائي" وفق أنواع التناص كالآتي:

أ/ **التناص الديني:** ونعني بالتناص الديني"تداخل نصوص دينية مختارة- عن طريق الاقتباس أو التضمين من القرآن الكريم أو الحديث الشريف أو الخطب أو الأخبار الدينية....- مع النص الأصلي للرواية، بحيث تنسجم هذه النصوص مع السياق الروائي، وتؤدي غرضا فكريا أو فنيا أو كليهما معا[3].

---

[1]- عبد الله: الغذامي، الخطيئة والتكفير من البنيوية إلى التشريحية - قراءة نقدية لنموذج إنساني معاصر، النادي الثقافي الأدبي، جدة، ط1، 1985م، ص 13.

[2]- جوليا كريستيفا، علم النص: ترجمة فريد الزاهي، مراجعة عبد الجليل ناظم، دار توبقال للنشر، المغرب، ط1، 1991م، ص 79.

[3]- أحمد الزغبي: التناص نظريا وتطبيقيا، مؤسسة غصون، ط2، عمان-الأردن، 2000م، ص 37.

أي أن التناص هو احتواء نص الرواية أو القصيدة الشعرية على نصوص أخرى من النص الديني الإسلامي لاكتمال المعنى وتقوية الكلام.

ومثال ذلك قول الشاعر:

"وإذا هصرنا فنون الوصل دانية قطافها، فجنينا منه ماشينا"[1]

"ليسق عهدكم، عهد السرور، فما كنتم لأرواحنا، إلا رياحينا"[2]

لقد وفق الشاعر أيما توفيق في تناصه هذا، ففي بيته الأول قد تعالق مع مضمون الآية في جنة عالية قطوفها دانية (33)[3]، وفي البيت الثاني تداخل خطابه الشعري مع الخطاب القرآني (فأما إن كان من المقتربين (28) فروح وريحان وجنة نعيم)[4] ومتأمل هذا التداخل يلحظ قدرة الشاعر بفعل التناص على جعل الصلة جنة، وقد جنى ثمارها أو كاد أن يجنيها في متناول الأيدي (قطوف دانية) والشاعر يجري شبها بين السياقين: سياق الخطاب الكوني القرآني وسياق يبيته الذين علم فيهما برؤية ولادة التي ملكت قلبه، وبالنعيم المقيم كما ينعم المؤمنون في جنة الخلد، حيث السرور والرياحين.

هذا الاستحضار المكثف للثقافة القرآنية جعل خطاب ابن زيدون يحقق إنتاجية تناصية قادرة على التأثير في المتلقي، إذ أن التفاعل بين خطاب الشاعر ابن زيدون والخطاب القرآني المستحضر أوصل الخطاب الجديد إلى الانسجام الدلالي بين الخطابات في خطاب واحد، وقد تم الانصهار بجمالية بارعة وُفق إليها الشاعر بالموهبة وسعة الاطلاع.

---

[1]– د– يوسف فرحات، ديوان ابن زيدون، ص 299.

[2]– المصدر نفسه، ص 299.

[3]– الحاقة: (22–23).

[4]– الواقعة: (88–89).

1-3 التناص الأدبي:

ويعرف التناص الأدبي بأنه تداخل نصوص أدبية مختارة قديمة وحديثة شعرا ونثرا مع النص الأصلي، بحيث تكون منسجمة ومتسعة ودالة قدر الإمكان على الفكرة التي يقدمها أو يعلنها المؤلف أو الحالة التي يجسدها ويتحدث عنها.[1]

يمكن القول أن التناص الأدبي هو عبارة عن نصوص متداخلة تكون إما قديمة أو حديثة سواء أكانت شعرا أم نثرا، وبالتالي تكون منسجمة مع الفكرة التي يقدمها المؤلف.

ويستلهم الكركي قصة الشاعر الأندلسي ابن زيدون المعروفة بمصاحبته ولادة بنت المستكفي في قصيدته المشهورة أضحى التنائي أن ابن زيدون في هذه القصيدة المشهورة يتنازع عن أمران.[2]

الأول حبه لولادة، والثاني حبه للسلطة، كيف لا وقد كان يلقب بذي الوزارتين التي حرم بها بسبب الوشاة والحساد وما أحدثوه بينه وبين أمير قرطبة حاله مع الكركي والسلطة، حيث يقول ابن زيدون:

عليك منا سلام الله ما بقيت صبابة بك تخفيها فتخفينا[3]

فقد مثل الكركي معاني ابن زيدون التي عبر فيها عن شوقه وحبه لولادة، ولربما أيضا يعبر فيها بطرف خفي عن عشقه للسلطة التي حرم منها، ومثل هذه الحالة تجيش بوجدان الكركي حيث يقول:

لم نعد بعد الذي كان ظماء

تعترينا دهشة للقبلة الأولى

---

[1]- أحمد الزغبي: التناص نظريا وتطبيقيا، ص 50.

[2]- خالد الكركي، ديوان مقام الياسمين، دار فارس للنشر والتوزيع، عمان 2005، د ط، ص 30.

[3]- د- يوسف فرحات، ديوان ابن زيدون، ص 303.

ويهمي عطرك الممتد في روحي

رذاذا من نشيج وجراح

وتدور الأرض سكرى

ثم تصحو والهوى بين غدو ورواح

ملجاي عيناك"[1]

إن استلهام التراث والموروث وصهره بالنص الجديد يساهم بشكل كبير في تجسيد رؤية جديدة، تسعى إلى فهم اللحظة الحاضرة وتفسيرها فالماضي والحاضر متصلان ومنفصلان في آن واحد، ومتفاعلان في الوقت نفسه، كما يساهم في إثراء النص الأدبي الجديد، ويساهم أيضا في تنوير الذات الجماعية وربما إعادة بنائها، وهو ما يؤكد أن لا قيمة للتراث إلا إذا فهمناه في ضوء ثقافة العصر ومقوماتها الأساسية.

إن استلهام التراث أسهم كثيرا في تنوير وتفعيل الوحدة الشعورية والفنية بين الشاعر وسائر المشاهد والقصص التراثية التي تمثلها، فكان الماضي هو صاحب الجرح، فالشاعر عمل على تفتيت الذات ليجمعهما بذاكرة الجمع الوجدانية على مر العصور.

نستخلص مما سبق أن التناص بمفهومه الواسع، فقد كان ابن زيدون لم يكن يستدعي لنصوص القران تزيينا أو لتكون وسيلة فنية بل كان يستحضر النص القرآني استحضارا عفويا على وفق ما تتطلبه شعرية النص وفعالية التعبير، فالتناص يقوم على تفاعل النصوص وتداخلها وتعلقها ببعضها البعض، لذا يعد تأثر ابن زيدون بالقران الكريم تداخلا فعالا لإنتاج تناصية نقد واحدة من عناصر الإبداع في شعر هذا الشاعر الأندلسي، كما أنه استحضر التناص الأدبي للتعبير عن الحياة بلغة جميلة، والتي تجعل الشاعر يعبر تعبيرا إجماليا عن مشاعره ووجدانه.

[1]– خالد الكركي: ديوان مقام الياسمين، ص 34.

المبحث الثاني: السلالم الحجاجية

يقوم السلم الحجاجي من إقرار التلازم في عمل المحاجة بين القول والحجة، فهو يقوم على ترتيب الحجج عموديا من الحجة الضعيفة إلى الحجة القوية في فئة حجاجية واحدة.

تعريف السلالم الحجاجية: حاول "ديكرو" من خلال كتابه السلالم الحجاجية رصد مفهوم جامع للسلالم الحجاجية فيعتبرها: "نظاما للحجج قائما على معيار التفاوت في درجات القوة، وعلى سلمية ممكنة بين الحجة الأكثر قوة، وبين الحجة الأكثر ضعفا، إذ يمكن أن نقول عن متكلم أنه وضع فئة حجاجية، حيث يعتبر (ج1) حجة أعلى أو أقوى من (ج) بالنسبة لـ(م)، إذا قبل أنّ استنتاج (م) من (ج) يتضمن قبول استنتاج (م) من (ج1) والعكس غير صحيح...، أي أن استنتاج (م) من الحجة الأكثر قوة يقصي إمكانية اللجوء إلى الحجة الأقل قوة، بهذا المعنى تنتظم الفئة الحجاجية بواسطة علاقة سُلمية، أسماها "ديكرو" (السلم الحجاجي "س–ج")[1].

نستنتج من هذا التعريف أن السلالم الحجاجية عبارة عن قضايا ومن هذه القضايا نجد حجة ضعيفة وحجة قوية، فهي علاقة تراتبية للحجج وهذه التراتبيات هي عبارة عن حجج، وكذلك نجد أن السلم الحجاجي هو علاقة تراتبية للحجج يمكن أن نرمز لها كالتالي:

ن: نتيجة

"ب" و"ج" و"د" حجج وأدلة تخدم النتيجة "ن".[2]

وما نفهمه من هذا الرمز للسلم الحجاجي أن للحجة طابعا تدريجيا، وترتيبا حسب القوة والضعف في هذا السلم الحجاجي.

---

[1]– محمد طروس: النظرية الحجاجية من خلال الدراسات البلاغية والمنطقية واللسانية، المغرب، دار الثقافة، ط1، 2005، ص 95–96.

[2]– أبو بكر العزاوي: اللغة والحجاج، العمدة في الطبع درب سيدنا، الدار البيضاء، ط1، سنة 2006، ص 20.

المطلب الثاني: آليات السلم الحجاجي

عرفنا أن السلم الحجاجي يقوم على ترتيب الحجج عموديا من الحجج الضعيفة إلى الحجج القوية في فئة حجاجية واحدة، فنجد أن السلم الحجاجي متعلق بمفهوم القوة الحجاجية، فتكون الحجج متفاوتة من حيث قوتها في تراتبية السلم.

هناك ثلاثة قوانين تحكم السلم الحجاجي وهي ما سنتطرق إليها:

1- قانون الخفض: يفيد هذا القانون أنه: "إذا صدق القول في مراتب معينة من السلم فإن نقيضه يصدق في المراتب التي تقع تحتها".[1]

وهذا معناه أن الخفض الذي ينتج عن النفي لا يتموقع في السلم الحجاجي أي أن تراتبية هذه الأقوال إذا كانت من الأسفل (الضعف) إلى الأعلى (القوة) فإن نقيضها يكون من الأعلى (القوة) إلى الأسفل (الضعف).

ورأينا أن نطبق السلم الحجاجي على بعض الشواهد من قصيدة "أضحى التنائي" لابن زيدون:

"ولو صبا نحونا، من علو مطلعه بدر الدجى لم يكن حاشاك يصبينا"[2]

ويتمثل هذا القانون في البيت التالي، حيث نرى أنه لو مال القمر ليلة اكتماله نحو الشاعر من سمائه العالية والتي تتجلى في حجته الأولى والتي يناقضها في السلم الحجاجي أنه لا يضاهي جمالها ولا بهاء طلعتها، فكانت هذه الحجة الثانية أما نتيجتهما أن الشاعر ابن زيدون لا يكف عن حب ولادة، وأنها ليست لها مثيل في جمالها.

[1]- طه عبد الرحمن: اللسان والميزان أو الكوثر العقلي، المركز الثقافي العربي، ط1، 1998، ص 277.

[2]- د- يوسف فرحات: ديوان ابن زيدون، ص 303

ونمثل ذلك في السلم التالي:

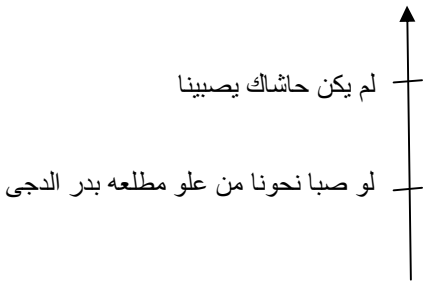

2- قانون النفي: ويسمى بقانون النفي مقتضاه أنه "إذا كان القول دليلا على مدلول معين، فإن نقيض هذا القول دليل على نقيض مدلوله"[1].

وهذا معناه أنه إذا تم نفي إحدى الحجج أدى هذا إلى نفي مدلول الخطاب، ونفهم ذلك من خلال البيت التالي:

"ولا اختيارا تجنبناه عن كثب لكن عدتنا، على كره عوادينا"[2]

سنقوم بترتيب حجج هذا البيت على السلم الحجاجي الآتي:

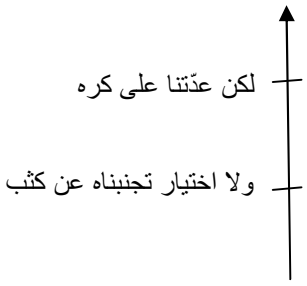

[1]- طه عبد الرحمن، اللسان والميزان والتكوثر العقلي، ص 278.

[2]- د- يوسف فرحات، ديوان ابن زيدون، ص 302.

فالحجج الواردة في السلم تبدأ من الضعيفة في الأسفل والمتمثلة في "ولا اختيارا تجنبناه عن كثب" لأن التفارق بينهما أمر غير مستحب لذا جاءت حجته ضعيفة، في حين أن الحجة الثانية وهي الحجة الأقوى، إذ تتمثل في "لكن عدتنا، على كره"، حيث أن الأقدار هي التي سببت ذلك البعد دون رغبة منهم، وتكون نتيجة هذه الحجج التي قدمها الشاعر لزيادة المعنى قوة ودلالة.

إذ أن الانصراف والابتعاد دون طوع منهما وإجبارهم على ذلك، فكانت هذه هي النتيجة التي قدم لها الشاعر تلك الحجج السابقة.

3- قانون القلب: وهذا القانون أيضا يتعلق بالنفي، ذلك أن "السلم الحجاجي للأقوال المنفية هو عكس سلم الأقوال الإثباتية"[1]

يمكن القول أنه إذا كان لدينا قولان أحدهما أقوى من الآخر، فإن نقيض القول الأقوى أقوى من نقيض القول الأضعف، ونرى ذلك في قول الشاعر ابن زيدون

"سران في خاطر الظلماء يكتمنا حتى يكاد لسان الصبح يفشينا"[2]

جاء في سياق هذا البيت الشعري أن الحبيبان كانا يلتقيان ليلا، حيث أفصح الشاعر في صدر بيته عن ذلك مستعملا ذلك كحجة أولى لكثرة شوقه وحنينه ولاستعطاف ولادة بنت المستكفي، إذ حجها بالحجة الأولى أنهما حين يلتقيان ليلا لا يراهما أحد، وذلك لدرجة حبهما لبعض ولمغامرة ولادة بنفسها وملاقاتها ل ابن زيدون، أما عن الحجة الثانية فجاءت كحجة قوية يدحض بها الحجة الأولى، لما لها من ضعف، ويدعم بها مقصده وما يريد إيصاله لولادة.

[1]- طه عبد الرحمن، اللسان والميزان والتكوثر العقلي: ص 288.

[2]- د- يوسف فرحات، ديوان ابن زيدون، ص 203.

وكذلك نجد أن السلم الحجاجي هو علاقة تراتبية للحجج، يمكن أن نرمز لها كالتالي:

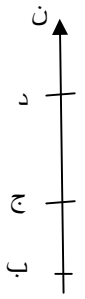

(ب) و(ج) و(د) حجج وأدلة تخدم النتيجة "ن"[1]

وما نفهمه من الرمز للسلم الحجاجي أن للحجة طابعا تدريجيا وترتبا حسب القوة والضعف في هذا السلم الحجاجي، وأيضا يعرف "القاموس الموسوعي للتداولية" السلالم الحجاجية كالآتي: "هو إذن قسم حجاجي موجه، ونحن نمثل للسلم الحجاجي بواسطة النتيجة "ن" والحجتين "ق" و"قَ" التي تستجيب ثلاثتها لتعريف القوة الحجاجية على النحو التالي:

[1]– أبو بكر العزاوي: اللغة والحجاج، العمدة في الطبع درب سيدنا، الدار البيضاء، ط1، سنة 2006، ص 103.

السلم الحجاجي والظواهر الدرجية:

إذن فالسلم الحجاجي عند "ديكرو": «يعتبره طابعا تدريجيا، حيث تقوم هذه السلالم على القوة في تعريفه هو أيضا، كما يقوم على حجتين ونتيجة»[1].

1- المراتب الكمية:

هي ما نقصد به الأسوار، حيث ذكره في القاموس الموسوعي للتداولية، بأنها "كلمة مثل كل، ولام التعريف والتنكير أو تعبير جاهز، تنتمي إلى مقولات تركيبية مختلفة، حسب الألسنة كأدوات التعيين مثل: كثير وقدر قليل من...، من قدر قليل لا قيمة له ولا أكثر مما يجب...، وتعبر عن الكمية التي يُسندها المتكلم للأسماء قصد تحديدها"[2]

وما نستخلصه أن الأسوار – السلم الكمي – وهي عبارات تُستخدم لتحديد المعنى المقصود، وتُستعمل للتعبير عن الكمية، حيث يستند إليها المتكلم في استعمالاته.

لكي تتضح الصورة عن المراتب الكمية، سنقوم بتطبيقه على قصيدة "أضحى التنائي"، ونعمد إلى اختيار بعض من أبياتها كنموذج.

يقول الشاعر (ابن زيدون):

"حالت لفقدكم أيامنا، فغدت سودا وكانت بكم بيضا لياليا"[3]

ونُمثل مراتب الكم في تدريج السلم الحجاجي كالآتي:

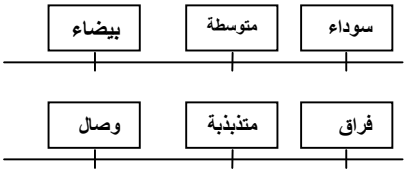

[1]– جاك موشلر وأن روبول: القاموس الموسوعي للتداولية، ترجمة لجنة أساتذة، دار سيناترا، تونس، 2010، ص 298، 299.

[2]– جاك موشلر وآن روبول، المرجع نفسه، ص 295.

[3]– د– يوسف فرحات، ديوان ابن زيدون، ص 300.

فمن خلال هذا التمثيل يتضح لنا أنه كلما كانت العلاقة جيدة تكون الليالي بيضاً، ويظهر ذلك من وصال الأحبة وتقاربهما، وكلما كانت الأيام سوداء كلما زاد الفراق والألم والحسرة فهنا التمثيل يمثل ألفاظا متماثلة.

نستنتج في الأخير أن السلالم الحجاجية وقوانينها تستعمل في تعيين قوة وضعف الحجة التي يستعملها الشاعر للإقناع المتلقي، وذلك من خلال التدرج والبدء بالحجة الضعيفة إلى الحجة القوية للوصول إلى النتيجة المراد تحقيقها، وإقناعها والتأثير في المتلقي بشكل أكبر.

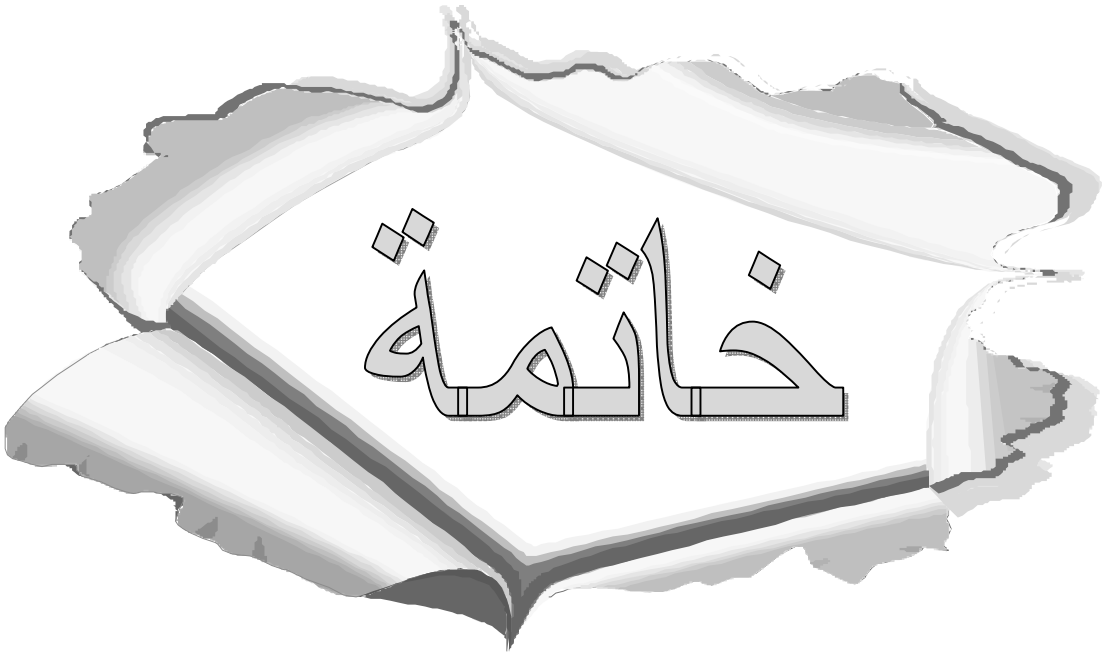
خاتمة

خاتمة:

بعد الدراسة والتحليل لموضوع "القيمة الحجاجية في الصورة البلاغية نونية ابن زيدون"، توصلنا إلى جملة من النتائج يمكن إيجازها فيما يأتي:

- التداولية هي نظرية من النظريات اللسانية، حيث تشمل على مواضيع عديدة يصلح كل منها أن يكون موضوعا للبحث والتحليل مثل: القضايا.
- عند تعرضنا إلى كل من مفهوم الحجاج البلاغة والتداولية وجدنا تنوع دلالاتهم في كثير من الحقول المعرفية، وكل هذه المفاهيم تخدم غاية واحدة، وهي محاولة التأثير والإقناع.
- برع ابن زيدون في استغلال اللغة والاستفادة من طاقتها في تكوين وتراكيب الصور البلاغية، حيث تتجلى في شعره جودة التعبير، وبراعة التصوير.
- كثرة التشبيهات في شعره شغلت جانبا كبيرا منه، لأن التشبيه باب واسع، وركن أصيل في بلاغة اللغة العربية منذ أن استعملها القدماء.
- كما جاءت استعارته تصويرا حسنا لصدق عاطفته في خيال خصب، فكل ذلك بلفظ رشيق وسلاسة وجزالة فخمة.
- أما بالنسبة للكناية، فقد حظيت بنصيب واسع في شعره، وبرزت في شكل واضح، حتى أضحت مسلكا تعبيريا من مسالك الأسلوب والتعبير عنده، لاسيما الكناية عن صفة والكناية عن الموصوف.
- تهتم التداولية بدراسة اللغة أثناء عملية الاستعمال دون إهمال المعنى ومع التركيز على السياق المقامي.
- تشكل البنية الحجاجية لنونية ابن زيدون "أضحى التنائي" من حجج متعددة ومتنوعة، وأحيانا تكون في سياق واحد، وتتسم بالانفتاح، وتهدف إلى إقناع أكبر عدد ممكن من المتلقين.
- قدرة ابن زيدون على تملك أدوات اللغة والروابط الحجاجية، وتوظيفها توظيفا يدعم حججه.

- استعمال الألوان البيانية التي أضافت لجماليات القول الشعري قوة حجاجية، فكانت سبيلا في تحقيق الإمتاع والإقناع.
- ركز البلاغيون على الفصل بين الجمل، ولم يهتموا بالمفردات إلا قليل منهم، لأن فائدة العطف في المفردات تظهر أكثر مما هي عليها في الجمل.
- أن الحجاج ضرورة حتمية وآلية لابد منها في جميع مجالات الحياة، إذ لا غنى عنه ولا مفر منه في طرائق الإقناع التي يسلكها المتكلم.

وفي الأخير يمكن أن نقول أن البحث في الحجاج مازال يحتاج الكثير من الدراسات، فهو من المواضيع الواسعة المتشعبة، التي يصعب الإلمام بها، وما هذا البحث الذي قدمناه إلا جهد بسيط، حاولنا فيه لمس بعض ملامح الحجاج في البلاغة العربية.

نسأل الله التوفيق.

المصادر والمراجع

قائمة المراجع:

- القرآن الكريم: برواية ورش عن نافع.

أولاً: المصادر:

01 يوسف فرحات: ديوان ابن زيدون، دار الكتاب العربي، بيروت، ط2، (1415هـ 1994م).

ثانياً: المراجع العربية:

02 ابن أثير ضياء الدين: المثل السائر، دار النهضة، مصر، القاهرة. د ط.

03 ابن رشيق القيرواني: العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، القاهرة، ط1، 1374هـ، 1955م.

04 ابن سيدة: المحكم والمحيط الأعظم، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، لبنان، دار الكتب العامية.

05 ابن فارس: مقاييس اللغة، مجلد1، تحقيق عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت، 1420هـ ، 1999م.

06 ابن منظور: لسان العرب، دار صادر، بيروت – لبنان، 1955، المجلد 02.

07 ابن منظور: لسان العرب، لبنان، دار صادر، ط1، المجلد 03.

08 ابن منظور: لسان العرب، مجلد،02، مادة (ب، ل، غ)، دار صادر، بيروت لبنان، 1990م.

09 أبو بكر العزاوي: اللغة والحجاج، العمدة في الطبع درب سيدنا، الدار البيضاء، ط1، 2006.

10 أحمد الزغبي: التناص نظريا وتطبيقيا، مؤسسة غصون، ط2، عمان الأردن، 2000.

11 الأزهر الزنادي: نسيج النص بحث فيما يكون به الملفوظ المركز الثقافي العربي، بيروت، الدار البيضاء، ط1، 1991م.

12 آن روبول وجاك موشلار: التداولية اليوم علم جديد في التواصل ترجمة سيف الدين دغفوس، محمد الشيباني، ط1، دار الطليعة، بيروت لبنان.

13 أنعام نوال عكاوي: المعجم المفصل في علوم البلاغة: البديع والبيان والمعنى، ط3، 1427هـ، 2007م.

14 الجاحظ: البيان والتبيين، تحقيق درويش جويدي، المكتبة العصرية صيدا، بيروت، 1422هـ – 2001م.

15 خالد الكركي: ديوان مقام الياسمين، دار فارس للنشر والتوزيع، عمان 2005، د ط.

16 الخطيب القزويني: الإيضاح في علوم البلاغة، الجزء1، تحقيق عبد المنعم خفاجي، دار الجيل، بيروت، ط3.

17 خليفة بوجادي: في اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم، بيت الحكمة، ط1، 2009.

18 راجي الأسمر: علوم البلاغة، الموسوعة الثقافية العامة، دار جبل، بيروت، ط1، 1420هـ، 1999م.

19 الزمخشري: أساس البلاغة تحقيق، محمد باسل،عيون السودان، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط 1998، الجزء1.

20 سامية الدريدي: الحجاج في الشعر العربي القديم عالم الكتب الحديثة، الأردن، ط1.

21 سمير سعيد حجازي: النظرية الأدبية ومصطلحاته الحديثة، دار طيبة للنشر والتوزيع العلمية، القاهرة، 2004.

22 السيد أحمد الهاشمي: جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، المكتبة العصرية، بيروت، 1999م.

23 شكري المبخوث: ضمن أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، حمادي حمود الهيئة العامة لمكتبة الإسكندرية.

24 شوقي ضيف: نوابغ الفكر العربي ابن زيدون، دار المعارف، ط11، د ت.

25 طه عبد الرحمان: اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1998.

26 طه عبد الرحمان: في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، المغرب، المركز الثقافي، ط3، 2007.

27 عبد الله صولة: الحجاج، أطرافه ومنطلقاته من خلال المصنف في الحجاج، البلاغة الجديدة، ضمن كتاب نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، كلية الأدب، تونس، 1998.

28 عبد الله صولة: الحجاج في القرآن الكريم من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، لبنان، دار الفرابي، ط1، 2007.

29 عبد الله الغذامي: الخطيئة والتكفير من البنيوية إلى التشريحية قراءة نقدية لنموذج إنساني معاصر، النادي الثقافي الأدبي، جدة، ط1، 1985م.

30 عبد المتعال الصعيدي: البلاغة العالية، في علم البيان، مكتبة الآداب، ط1، 1420هـ، 2000م.

31 عبد الهادي بن ظافر الشهري: إستراتيجية الخطاب، مقارنة لغوية تداولية، دار الكتاب الجديد، ط1، بيروت، لبنان، 2004.

32 العلوي، يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم، الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، المكتبة العنصرية، بيروت، ط1، 1423هـ.

33 على الجارم ومصطفى أمين: البلاغة الواضحة، البيان والمعاني والبديع، دار المعارف، د ط.

34 غازي تموت: علم أساليب البيان، دار الأصالة، بيروت، ط1، 1983م.

35 فيصل حسين طحيمر العلي: البلاغة الميسرة في المعاني والبيان والبديع، دار الثقافة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 1990.

36 محمد أحمد سعيد: أستاذ البلاغة والنقد بجامعة طبية، ملامح الإيداع في الشعر الأندلسي، قصيدة أضحى التنائي نموذجا، مجلة جامعة للآداب والعلوم الإنسانية، 1437هـ.

37 محمد العيد: النص والخطاب والاتصال الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي القاهرة، مصر، ط1، 2005.

38 محمد أمين الضناوي: معين الطالب في علوم البلاغة في علم المعاني علم البديع وعلم البيان منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2000م.

39 محمد صادق الأسدي: تداولية الخطاب الديني في كتاب التوحيد للشيخ الصدوق، مركز عين الدراسات والبحوث المعاصرة، ط1، ط2، (1439هـ-2018م).

40 محمد طروس: النظرية الحجاجية من خلال الدراسات البلاغية والمنطقية واللسانية، المغرب، دار الثقافة، ط1، 2005.

41 محمد عبيد صالح السبهاني: الوجه البلاغي وأثره في السياق الشعري الأندلسي، دار غيدا، ط1، (1434هـ - 2013م).

42 مزيد إسماعيل نعيم، علم المعاني جامعة دمشق، 1981م.

43 نعمان بوقرة: اللسانيات اتجاهاتها وقضاياها الراهنة، عالم الكتب الحديثة بدار الكتاب العالمي، ط1، الأردن، 2009م.

44 نعمان بوقرة: محاضرات في المدارس اللسانية المعاصرة، منشورات باجي مختار، عنابة، 2006م.

45 نواري سعودي أبو زيد: في تداولية الخطاب الأدبي المبادئ والإجراءات، بيت الحكمة، ط1، العلمة – الجزائر، 2009.

46 الهاشمي أحمد السيد جواهر: البلاغة في المعاني والبديع، دار الكتب العلمية، ط1.

ثالثاً: المراجع الأجنبية:

47 جاك موشلر وأن روبول: القاموس الموسوعي للتداولية، ترجمة لجنة أساتذة، دار سيناترا، تونس، 2010.

48 جوليا كريستيفا: علم النص، ترجمة فريد الزاهي، مراجعة عبد الجليل ناظم، دار توبقال للنشر، المغرب، ط1.

49 جون أوستين: نظرية أفعال الكلام العامة، كيف تنجز الأشياء بالكلمات، تر: عبد القادر فنيني، إفريقيا الشرق، 1991م.

50 فرنسواز أرمينكو: المقاربة التداولية، تر: سعيد علوش، مركز الإنماء القومي، الرباط – المغرب، 1986.

51 فليب بلانشيه: التداولية من أوستين إلى غوفمان، تر: صابر الحباشة، ط1، 2007، دار الحوار للنشر والتوزيع.

رابعاً: الرسائل الجامعية:

52 زليخة دقيش: بناء القصيدة الغزلية الأندلسية عصر ملوك الطوائف "نونية ابن زيدون"، مذكرة لنيل شهادة الماستر، سنة 2014/2013.

53 الساعدي، حازم طارش حاتم: التراكيب العلمية في القرآن الكريم، دراسة حجاجية، 2014، رسالة دكتوراه.

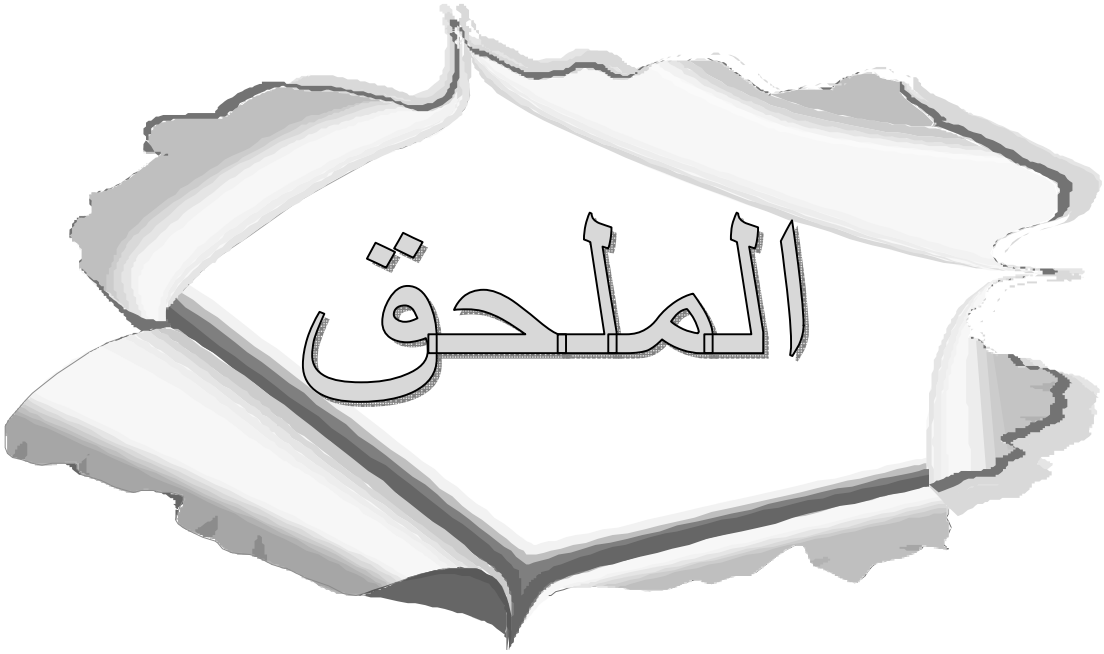
الملحق

1) السيرة الذاتية (ابن زيدون):

هــو أبـــو الوليـــد أحمـــد بـــن عبـــد الله المخـــزومي، المشهور بابن زيدون، ولد بقـــرطبة سنـــة (394هـ)-(1003م) في خلافة هشام الثاني، وهو هشام بن الحكم الذي خضع لنفوذ العامريين وحكمهم، وقد عاصر عهد الفتنة، فشهد الصراع بين الأمويين على الحكم، وبين الأمويين والعامريين، وبين العرب والبربر.

نشأ ابن زيدون في بيئة مثقفة، وكان أبوه من وجهاء قرطبة وأغنيائها وفقهائها، فأحضر له الأدباء والمربين، لكن والده مات عندما كان ابن زيدون في الحادية عشر، فأهتم به جده لأمه، فثقف ثقافة حسنة، ونظم الشعر باكرا.

وكان ابن زيدون منحازا لأبي الحزم بن جهور وصديقا لابنه أبي الوليد، فلما تسلم ابن جهور الحكم استقدم الشاعر وأوكل إليه الذمة، وجعله سفيرا لدى بعض ملوك الطوائف، ولقبه بذي الوزارتين[1].

[1]– د– يوسف فرحات؛ ديوان ابن زيدون، دار الكتاب العربي، بيروت، ط2، (1415هـ – 1994م)، ص 14.

2) الموهبة الشعرية لابن زيدون:

اتصل ابن زيدون بأكبر الشعراء والأعلام في العصر الأندلسي، حيث تولى العديد من المناصب العليا، وأهمها منصب الوزارة، ومنصب القضاء، كما كان ذا ملكة شعرية فياضة، حيث كانت له العديد من الأشعار من كل غرض، كالفخر، والرثاء، والغزل، والوصف، نتيجة لنشأته في وسط ربوع قرطبة ذات المناظر الخلابة.

وقد أجمع الباحثون في تاريخ الأدب على أن أبا الوليد أحمد ابن زيدون من أعظم شعراء عصره، قال بسام الشنتريني: «كان أبو الوليد صاحب منثور ومنظوم، وخاتمة شعراء مخزوم، أحد من جرّ الأيام جرا، وفات الأنام طردا، وصرف السلطان نفعا وضرا، ووسع البيان نظما ونثرا، إلى أدب ليس للبحر تدفقه، ولا للبدر تألقه، وشعر ليس للسحر بيانه، ولا للنجوم الزهر اقترانه، وحظ من النثر غريب المباني، شعري الألفاظ والمعاني» [1]

مرّ ابن زيدون في حياته بثلاثة تجارب، كان لها أثر عميق فيما يتناوله شعره من أغراض، فكانت هذه التجارب ينابيع لكل الموضوعات عنها، «التجربة الأولى هي: عشقه ولادة بنت المستكفي، فان العلاقة التي أججت لهيب الحب في قلبيها كان لها أثر ممتد في أشعاره، وكانت نبعا لما تناولته غزلياته في حالات العشق المختلفة، التي تتفرغ إلى تشوق وفرحة باللقاء وحنين وفراق وهجر، أما التجربة الثانية فهي تعرضه للسجن في عهد أبي الحزم بن جهور، إذا كانت معاناته في السجن نبعا لكثير من أشعار العتاب والاستعطاف.

والتجربة الثالثة هي قربه من الحكام وموقعه من الدولة بصفته وزيرا وسفيرا، وقد كانت هذه المكانة نبعا لأشعار المديح التي وجهها لأولي الأمر، الذين أمنوا بقدراته ومنحوه ما يستحق من تقدير، وكذلك نبعا لما أطلقه من قصائد الهجاء لأعدائه وحاسديه، وكانت مصدرا لإخوانيته ومداعباته، وأيضا لما كتبه من بعض قصائد الوصف»[2].

---

[1]– فوزي خضر، الإبداع الفني في شعر ابن زيدون، ص 15.

[2]– المرجع نفسه، ص 16.

وإذا «كان ابن زيدون قد لقب بالبحتري العرب فذلك لسببين: السبب الأول هو طول النفس، إذ جاءت أكثر قصائده في المديح والغزل طويلة، والسبب الثاني هو ولع ابن زيدون بالزخارف الشعرية، إذ أكثر من الصفة، فجاءت أبياته كشعر البحتري غنية بالصور البيانية والمحسنات البديعية» [1]

[1]– د– يوسف فرحات، ديوان ابن زيدون، دار الكتب العربي، بيروت، ط2، (1415–1994م)، ص 14.

أضْحَى التّنائي بَديلاً منْ تَدانِينَا،	وَنَابَ عَنْ طيبِ لُقْيانَا تجافينَا
ألاّ وَقَد حانَ صُبحُ البَينِ، صَبّحَنا	حَيْنٌ، فَقَامَ بِنَا للحَيْنِ نَاعِينَا
مَنْ مبلغُ الملبسِينا، بانتزاحِهمُ،	حُزْناً، معَ الدهرِ لا يبلى ويُبْلِينَا
أَنَّ الزَمانَ الَّذي مازالَ يُضحِكُنا	أُنساً بِقُربِهِمُ قَد عادَ يُبكينا
غِيظَ العِدا مِنْ تَساقِينا الهوَى فدعَوْا	بِأَنْ نَغَصَّ، فَقالَ الدهر آمينَا
فَانحَلّ ما كانَ مَعقُوداً بأَنْفُسِنَا؛	وَانْبَتّ ما كانَ مَوْصُولاً بأيْدِينَا
وَقَدْ نَكُونُ، وَمَا يُخشَى تَفَرّقُنا،	فاليومَ نحنُ، ومَا يُرْجى تَلاقينَا
يا ليتَ شعرِي، ولم نُعتِبْ أعاديَكم،	هَلْ نَالَ حَظّاً منَ العُتبَى أعادينَا
لم نعتقدْ بعدكمْ إلاّ الوفاء لكُمْ	رَأياً، ولَمْ نَتَقلّدْ غَيرَهُ دِينَا
ما حقّنا أن تُقِرّوا عينَ ذي حَسَدٍ	بِنا، ولا أن تَسُرّوا كاشِحاً فِينَا
كُنّا نرَى اليَأسَ تُسْلِينا عَوَارِضُه،	وَقَدْ يَئِسْنَا فَمَا لليأسِ يُغْرِينَا
بِنْتُم وَبِنّا، فَما ابتَلّتْ جَوَانِحُنَا	شَوْقاً إلَيكُمْ، وَلا جَفّتْ مآقِينَا
نَكادُ، حِينَ تُنَاجِيكُمْ ضَمائرُنا،	يَقضي علَينا الأسَى لَوْلا تأسّينَا
حَالَتْ لِفقدِكُمُ أيّامُنا، فغَدَتْ	سُوداً، وكانتْ بكُمْ بِيضاً لَيَالِينَا
إذْ جانِبُ العَيشِ طَلْقٌ من تألُّفِنا؛	وَمَرْبَعُ اللّهْوِ صَافٍ مِنْ تَصَافِينَا
وَإذْ هَصَرْنَا فُنُونَ الوَصْلِ دانيةً	قِطَافُها، فَجَنَيْنَا مِنْهُ ما شِينَا
ليُسقَ عَهدُكُمُ عَهدُ السّرُورِ فَما	كُنْتُمْ لأرواحِنَا إلاّ رَياحينَا
لا تَحْسَبُوا نَأيَكُمْ عَنّا يغيّرُنا؛	!أنْ طالَما غَيّرَ النّأيُ المُحِبّينَا
وَاللهِ مَا طَلَبَتْ أهْواؤنَا بَدَلاً	مِنْكُمْ، وَلا انصرَفتْ عنكمْ أمانينَا
يا سارِيَ البَرْقِ غادِ القصرَ وَاسقِ به	مَن كانَ صِرْف الهَوى وَالوُدَّ يَسقينَا
وَاسألْ هُنالِكَ: هَلْ عَنّى تَذكُّرُنا	إلفاً، تذكُّرُهُ أمسَى يعنّينَا؟
وَيَا نسيمَ الصَّبَا بلّغْ تحيّتَنَا	مَنْ لَوْ على البُعْدِ حَيّا كان يحيِينا

فهلْ أرى الدّهرَ يقضينا مساعفَةً ... مِنْهُ، وإنْ لم يكُنْ غبّاً تقاضِينَا

رَبيبُ مُلكٍ، كَأنّ اللّهَ أنْشَأهُ ... مِسكاً، وَقَدّرَ إنشاءَ الوَرَى طِينَا

أوْ صَاغَهُ وَرِقاً مَحْضاً، وَتَوجهُ ... مِنْ نَاصِعِ التّبرِ إبْداعاً وتَحسِينَا

إذَا تَأوّدَ آدَتْهُ، رَفاهِيّةً ، ... تُومُ العُقُودِ، وَأدمتَهُ البُرَى لِينَا

كانتْ لَهُ الشّمسُ ظئراً في أكِلّته، ... بَلْ ما تَجَلّى لها إلاّ أحايِينَا

كأنّما أثبتَتْ، في صَحنِ وجنتِهِ، ... زُهْرُ الكَوَاكِبِ تَعويذاً وَتَزَيِينَا

ما ضَرّ أنْ لمْ نَكُنْ أكفاءه شرَفاً، ... وَفي المَوَدّةِ كافٍ مِنْ تَكَافِينَا؟

يا رَوْضَةً طالَما أجْنَتْ لَوَاحِظَنَا ... وَرْداً، جَلاهُ الصِّبا غضّاً، وَنَسْرِينَا

ويَا حياةً تملّيْنَا، بزهرَتِهَا، ... مُنىً ضروباً، ولذّاتٍ أفانينَا

ويَا نعِيماً خطرْنَا، مِنْ غَضارَتِهِ، ... في وَشْيِ نُعْمَى ، سحَبنا ذَيلَه حينَا

لَسنا نُسَمّيكِ إجْلالاً وَتَكْرِمَةً ؛ ... وَقَدْرُكِ المُعْتَلي عَنْ ذاك يُغْنِينَا

إذا انفرَدتِ وما شُورِكتِ في صِفَةٍ ، ... فحسبُنا الوَصْفُ إيضَاحاً وتبْيِينَا

يا جنّةَ الخلدِ أُبدِلنا، بسدرَتِها ... والكوثرِ العذبِ، زقّوماً وغسلينَا

كأنّنَا لم نبِتْ، والوصلُ ثالثُنَا، ... وَالسّعدُ قَدْ غَضَّ من أجفانِ وَاشينَا

إنْ كان قد عزّ في الدّنيا اللّقاءُ بكمْ ... في مَوْقِفِ الحَشرِ نَلقاكُمْ وَتَلْقُونَا

سِرّانِ في خاطِرِ الظّلماءِ يَكتُمُنا، ... حتى يكادَ لسانُ الصّبحِ يفشينَا

لا غَرْوَ في أنْ ذكرْنا الحزْنَ حينَ نهتْ ... عنهُ النُّهَى ، وَتركْنا الصّبْرَ ناسِينَا

إنّا قرَأنا الأسَى ، يوْمَ النّوى ، سُوراً ... مَكتوبَةً ، وَأخَذْنَا الصّبرَ تلقينا

أمّا هواكِ، فلمْ نعدِلْ بمَنْهَلِهِ ... شُرْباً وَإنْ كانَ يُرْوِينَا فيُظمِينَا

لمْ نَجْفُ أفقَ جمالٍ أنتِ كوكبُهُ ... سالِينَ عنهُ، وَلم نهجُرْهُ قالِينَا

وَلا اخْتِياراً تَجَنّبْناهُ عَنْ كَثَبٍ، ... لكنْ عَدَتْنَا، على كُرْهٍ، عَوَادِينَا

نأسَى عَليكِ إذا حُثّتْ، مُشَعْشَعَة، ... فِينا الشّمُولُ، وغنّانَا مُغنّينَا

لا أكْؤسُ الرّاحِ تُبدي من شمائِلِنَا ... سِيّما ارْتياحٍ، وَلا الأوْتارُ تُلْهِينَا

دومي على العهدِ، ما دُمنا، مُحافِظةً ، فالحرُّ مَنْ دانَ إنْصافاً كما دينَا

فَما استعضْنا خَليلاً منكِ يحبسُنا وَلا استفدْنا حبِيباً عنكِ يثنينَا

وَلَوْ صبَا نحوَنَا، من عُلوِ مطلعه، بدرُ الدُّجى لم يكنْ حاشاكِ يصبِينَا

أبْكي وَفاءً، وَإنْ لم تَبْذُلي صِلَةً ، فَالطّيفُ يُقْنِعُنَا، وَالذّكرُ يَكفِينَا

وَفي الجَوَابِ مَتَاعٌ، إنْ شَفَعتِ بهِ بيضَ الأيادي، التي ما زِلتِ تُولينَا

إليكِ منّا سَلامُ اللَّهِ ما بَقِيَتْ صَبَابَةٌ بِكِ نُخْفِيهَا، فَتَخْفِينَا

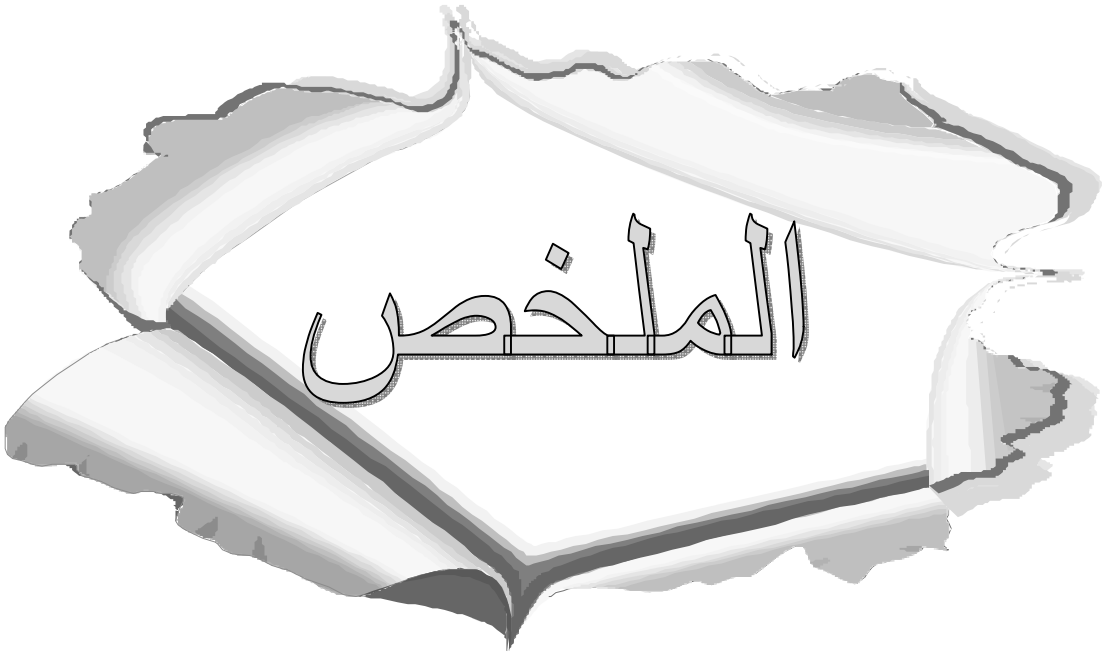
الملخص

الملخص:

تناولنا في هذه الدراسة موضوع: "**القيمة الحجاجية في الصورة البلاغية في نونية ابن زيدون**"، حيث بدأنا بحثنا هذا بمقدمة تضمنت تعريفاً وجيزاً لموضوع البحث وأهميته، في حين تناولنا في الفصل الأول ضبط مفاهيم كل من التداولية، الحجاج والبلاغة، وتحليلها من الناحية النظرية، ولبلوغ ما نصبوا إليه قدمنا دراسة حجاجية لبعض أبيات القصيدة لنونية ابن زيدون.

وفي الفصل الثاني عمدنا إلى استخراج أهم الصور البلاغية الواردة فيها من استعارات وتشبيهات وكنايات، لنبيّن بعدها المقاصد الحجاجية، ومدى وقعها وتأثيرها على نفسية القارئ، ثم رتبنا أهم الحجج السُّلَّمية الحجاجية.

وأخيراً كانت الخاتمة التي رصدنا فيها أهم النتائج.